

# القوس العذراء

أبوفهرا  
محمود محمد شاكر

# القوس العذراء

أبوفها  
محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَصَلَّى اللّٰهُ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى اٰبَوَيْهِ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ

وَسَاِْرِ النَّبِيِّيْنَ وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا

# ذِكْرٌ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ فِي غُصْنِكَ  
وَالدَّهْرُ يَرُوعُ بِرَمَاهَا سَقَطًا

وَقِيلَ أَنْ يَنْتَابَ فِي عُرْوَتِهَا  
تَحْتَ الذَّنْبِ الْحَيِّ مَهَادًا مُبَلِّغًا

سَكَنَتِهَا نَائِبًا عَمِيقِ الْمَدَفِ  
يَنْتَبِهُ الصَّدَقُ مِنْ بَنْفِهِ لِشَقَلِ

في الرِّيحِ .. اسْمَعْتَ اللِّهَاءِ الرَّهْوِيَّ  
يَنْفُخُ فِي الْأَرْغَمَالِ نَوْحَ النَّمْلِ

وفي يَدِ الْقَوَّاسِ .. كُنْتَ الرَّسْحَى  
تَنَادَمَتْ فِيهِ بِقَايَا أَمَلٍ

وفي يَدِ الرَّامِيَّ .. رَدَى لَهَا  
يَتَوَادُّ عَنْهَا كُلَّ صَيْدٍ غَفْلٍ

وفي ضَمِيرِ الْعَمَشِ .. أَنْزَلْتَهَا  
مَنَائِلَ الْوَفَى بِخَطْمِ الرَّسْلِ

أَنْبَتِي غُضْنَا ، وَأَنْطَقْتِكِ  
لَحْنًا جَرِيحَ الشَّرِّ أُنِي هَدَلُ  
عَلَى رَأْبٍ فَاجْتَمَعِي .. عَيْتِي  
أَمْتَارِي مِنْهُرٌ جَدِيدٌ أَطَلُّ  
يَنْهَقُ ، وَيَنْزُورُ .. وَيُوجِي الصَّدَى  
لِلصَّوْتِي ، وَالنَّوْرُ لَوْضَائِي أَفَلَا  
وَيَرْتِكُ الرَّشْدَ عَنِ قِصَّةِ  
فِيهِ لَيْتِي النَّفْسُ أَشَقَى مَثَلُ

فَعَيْتَهَا.. فَانْقَرَّتْ عَالِمًا  
مِنْ نَفْعَةٍ فِي دَنْهَا لَمْ تَزَلْ  
ذَوْبَتَهَا نَوْرًا .. وَشَفَقَتْهَا  
عَذْرَاءَ .. فِي خَلْدِ ضَمَاهِ أَهْلٍ  
تَنَقَّى بَلْفٌ مَا يَشَاءُ الرَّهْمِ  
وَأَخْتَهَا تَنَقَّى رَمِيحًا الْأَمَلِ  
لَأَسَانٍ فِي نَاعِي .. عَصْرَتِ الصَّبَا  
فِي لَحْنِهِ ذُرْعٌ زَمَانٍ رَعْلًا

ماضي، وآتي، ومدتك أوفيت  
فيه رزقا من أركب شغل

ماهي قوس في يد نابل ..  
وإنما ألعج سحر نزل !!

الخير ١٦ من ذوالقعدة ١٣٨٤ هـ

حنا عمل  
محمد



قوس الشماخ

## الشَّمَاخُ بنُ ضِرَارِ الغَطَفَانِيُّ :

واسمُه : مَعْقِل ، وَكُنِيَّتُه : أبو سعيد . شاعرٌ  
 فحلُّ ، صحابِيُّ أدركَ الجاهليَّةَ ثم أسلم . وهو أحدُ عُوْرَانِ  
 قيسِ الخُمَيسِ من فحول الشعر : ابن مُقْبِل ، والرَّاعِي ،  
 والشَّمَاخُ ، وابنِ أحمر ، وحميد بن ثورٍ . وعلى عَوْرِهِ كان  
 وصافاً ، أجادَ صِفَةَ حُمُرِ الوحشِ . أنشِدَ الوليد بن  
 عبد الملك شيئاً من شعره في صِفَتِهَا فقال : « ما أوصَفَه لها !  
 إني لأحسبُ أحدَ أبويهِ كان حِمَارًا ! » وذلك لأنَّه كان  
 يتدسَّسُ في ضمائرِ الحُمُرِ فينطِقُهَا بما تكتمُ ! غزا في فتوح  
 عُمرِ رضَى اللهُ عنه ، وشهد القادسيَّةَ ، ثم غزا أذْرِيَجَانَ مع  
 سعيد بن العاصِ ، فاستشهدَ في غزوةِ مُوقَانَ ، سنة أربع  
 وعشرين من الهجرة ، على عهد عثمان ، رضَى اللهُ عنهما .

(١) حلاًها : طردها عن الماء ومنعها ، والضمير لِحُمْرِ الوحش . وذو الأراكة : موضع ماء . والخُضْرُ : قَبيلةٌ منها عامر الخُضْرِيُّ الرامى ، مُعَمَّر (رضى الله عنه) ، له حديث واحد عن رسول الله ﷺ ، له ترجمة في الإصابة لابن حجر ، وذكر أنّ حديثه رواه أحمد ، وغاب عنى في المسند ، ولكن رواه أبو داود في السنن في كتاب الجنائز « باب الأمراض المكفرة للذنوب » .

(٢) الثَّلاذ : المال القديم الموروث . تَارِزٌ : الذى يبس في مكانه ومات .

(٣) الرُّرُق : السهام فى شدة بياضها . والرَّمْيُ : المرمى . والبيع : شجرٌ تُتخذ منه القسي ، أصفر . والجلائز : عصب يُلَوَّى على القوس ليشدّها من غير عيب بها .

١ ... فحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَةِ عَامِرٌ  
أَخُو الْخُضْرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

٢ قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،  
كَانَ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزُ

٣ مُطْلًا بَزْرُقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيهَا ،  
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعِ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

(٤) الضال : شجر تُتخذ منه السهام كالنبيع ، أصفر ، طيب الرائحة .  
الشَّدب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة .

(٥) كَنَّها : سترها في كِنٍ . والغيل : الشجر الملتف ، ويسكنه الأسد  
ويحميه . وشجر متلاحز : متضايق دخل بعضه في بعض .

(٦) ينجُو : يقطع ما يؤدى . ينقَلُ : يدخل في شيء متلاحم على مشقة .  
بارز : ظاهر للشمس .

(٧) أنحى عليها : قصد وأقبل يقطعها . وغراب الفأس : حُدَّها المرفف .  
والعضاه : شجر عظيم ذو شوك . مشارز : شرس سىء الخلق .

٤ تَخَيَّرَهَا الْقَوَّاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ

لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

٥ نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،

فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاحِزُ

٦ فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسِ

وَيَنْغَلُّ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

٧ فَأَنَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا

عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

(٨) آزور : مال وأعرض . من يُخاور : من يخالطه من أصحابه الذين في

حوزته .

(٩) مَطَّعَهَا : وضعها في حرِّ الشمس لتشرب ماء لحائها . واللِّحاء : قشر  
العود . وغمز العود : جسده ، لكي ينظر أين يُلَبِّثُه ويقيمه .

(١٠) الثَّقَاف : خشبية في طرفها تحرق يتسع للقوس ، فتدخل فيها وتغمر  
حتى تُسَوَّى . والطريدة : قصبه مجوّفة خشنة الجوف تُدخَلُ فيها القوس لتبْرِى قشرتها .  
الدرء : العوج . والشَّمُوس : الفرس العصية الجموح . والمهامز ( جمع مَهْمَاز ) :  
تنحس به الدواب لتستقيم . وتقويم ضغنها : تأديبها حتى يلين قيادها .

(١١) ذاق : جَذَبها ليختبر شدتها أو لينها . وكَفَى : أي كافٍ لا يزيد عن  
الحاجة . ويُفِرَق السهم : أي يستوفى جذبها فيلين ، فرما قطع السهم يد الرامي .  
يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم .

٨ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتُ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى  
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزْوَرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

٩ فَمَطَّعَهَا عَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،  
وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِرُ

١٠ أَقَامَ الثَّقَافَ وَالطَّرِيدَةَ دَرَاهَا ،  
كَمَا قَوَّمتْ ضِغْنِ الشَّمُوسِ الْمَهَامِرُ

١١ وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا  
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِرُ



(١٢) أبيض القوس : جذب وترها ، فإذا أطلقه بُبِضَ وَرَنٌ . الثكلَى : التى مات ولدها . والجنازِر ( جمع جنازة ) : وهو الميت نفسه هنا .

(١٣) هتوف : لها صوت عال . وحذف جواب « إذا » كأنه معلوم لاشك فيه ، أى إذا أصابه السهم مات على المكان . ريع : دُِعِر . وأسلمته : خذلته ولم تحمله . والتواقر : قوائم التى يُتَقَرُّ بها ، أى يقفز .

(١٤) الزعفران : من الطيب ، أصفر ، من زينة النساء ولاسيما فى العرس . وتُميره : تصبّ فيه الماء لتذيبه . والحوازن : النساء التى تخزنه . والكوانز : التى تكنزه فى وعاء ، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته .

(١٥) الأنداء ( جمع ندى ) : وهو بلل الصباح . أشعرت : ألبست . والحبير : ثوب مُوسَى من الحرير الناعم . والمعاوز : الثياب الخَلِقة يلبسها المساكين . لم تُدرج : لم تُطَوَّر عليها ، بل تصان بالحرير .

١٢ إِذَا أَبْضَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرَمَّتْ  
تَرْتَمُ تَكَلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

١٣ هُتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الطَّبِي سَهْمَهَا !  
وَإِنْ رِيْعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

١٤ كَانَ عَلَيْهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ  
خَوَازِنُ عَطَارٍ يَمَانٍ كَوَانِزُ

١٥ إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صِينَتْ وَأَشْعِرَتْ  
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرِجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج . ويبيح : مشتري يحسن البيع والشراء . والسؤم : المساومة . ورائز : مختبر لشدتها وثقلها .

(١٧) هل تشتريها : هل تبيعها ؟ . والتلاد : المال القديم الموروث . والحرائز : التي تُحَرَّز ولا تباع لنفاستها .

(١٨) الشرعى : من أجود الثياب وأغلاها . والسيراء : ثياب مخططة نفيسة . أو أواق : « أو » بمعنى واو العطف هنا ، والأوراق ( جمع أوقية ) وهى من الموازين . ونواجز : حاضرة غير مؤجلة .

(١٩) ثمان : يعنى ثمانى أواق من الذهب . والكورى : منسوب إلى كور الصائغ الذى توقد فيه النار ، يعنى ذهباً مصوغاً . أذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به ، أى تشتعل ويشتد لهبها . والحابز : صانع الخبز على النار .

١٦ فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَأَنْبَرَى  
لَهَا بَيْعٌ يُعْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِزُ

١٧ فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا  
تُبَاعُ بِمَا بَيْعَ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ !

١٨ فَقَالَ : إِزَارُ شَرَعِيٌّ ، وَأَرْبَعٌ  
مِنَ السِّيَرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

١٩ ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا  
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ

(٢٠) بُرْدَان : تثنية بُرْد ، والحال : موضع تصنع به الشباب النفيسة الرقيقة .  
وعلى ذاك : أى مع ذاك . والمقروظ : المدبوغ بالقرظ . والماعز : جلد المعزى ، وهو من  
أجودها .

(٢١) أميرها : الذى يؤامره ويشاوره . ويجاوز : يتركه ويمضى .

(٢٢) لاهز : دافع مانع .

(٢٣) شراها : باعها . وحزاز : قاطع يحزُّ حَزًّا شديدًا . والوجد : أشد الحب  
وأحره . وحامز : مُمِضٌ مُحْرِقٌ .

٢٠. وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،  
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

٢١. فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا  
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أُمَّ يُجَاوِزُ

٢٢. فَقَالُوا لَهُ : بَايِعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ  
لَكَ الْيَوْمَ عَن رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِزُّ

٢٣. فَلَمَّا شَرَّهَا فَاصَّتِ الْعَيْنُ عِبْرَةً ،  
وَفِي الصَّدْرِ حَزَّازٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ

القوس العذراء

(٣) أعوزه الأمر يُعَوِّزُهُ : إذا اشتد عليه وعسر ، واحتاج إليه فلم يقدر عليه .

(٦) ينسرب : يجرى سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه .



## إلى صديق لا تبلى مودته :

أما بعد ، فإنى لم أكن أتوقع يومئذ أن ألقاك ، وإذا  
كنت قد أوتيت حياءً يغلبك عند البغته على لسانك ، حتى  
يُعوزك ما تقول ، فقد أوتيتُ أنا ضرراً ثرثاراً من الحياء ،  
يُطلق لسانى أحياناً ، عند البغته ، بما لا أحبُّ أن أقول ، وبما  
لا أدرى كيف جاء ، ولم قيل ! كنتُ خليقاً يومئذ أن أقول  
غير ما قلت ، ولكنى وجدتُ شيئاً منك ينسربُ فى نفسى  
فيشيرها ، حتى يدورَ حديثى كله على إتقانِ الأعمال التى  
يتباح للمراء أن يزاولها - فى لمحّة خاطفةٍ من الدهر ، تُسميها  
نحن الناس : العُمر !! يا له من غرورٍ ! بيد أن هذا الحديث

أبى إلا أن ينقلب عائداً معى فى الطريق ، يُسأرنى ،  
ويُصاحبنى ، ويؤنس وُحشتى ، ويُسرُّ إلى بوسوسة خفية  
من أحاديثه التى لا تشابهه ، والتى لا تتناهى ، والتى هى  
أيضاً لا تُملُّ . وإذا كانت ثرثرة حياءى قد صكّت مسامعك  
ببعض عُنفى وصرامتى ، فعسى أن يبعث فى نفسك بعض  
الرضى ، ما أرويه لك من بقايا تلك الأحاديث ، التى  
رافقتنى منذ فارقتك ، إلى أن استقرت بى الدار ، ثم طارت  
عنى إلى حيث يطير كلُّ فكرٍ ، وغابت حيث يُغيب !

\*\*\*

الإنسان خُلِقَ عَجيبٌ !! كلُّ حىٍّ ، بل كلُّ شىءٍ مخلوق ،

(١) النهج : الطريق المستقيم الواضح البين . واللاحب : الطريق الواسع الأملس ، لا يعوقك في مسيرتك فيه شيء . والهُدَى : السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضلُّ عنها .

(٥) لا يتخلف : لا ينقطع عنها فيتأخر ، ويأتى في غير مواعده ومكانه .  
والذرة : التملة الصغيرة الحمراء ، النمال ( جمع نملة ) .

(٧) نقضى نحبا : تفرغ من عملها ، وتبلغ مدة أجلها .

(٨) تَمَرَّق : تحرقه وتخرج منه ضالة على وجهها .

(١٠) تحدث : تبدع طريقًا مخالفًا لسنة خلقها .

- ١ يسيرُ على نَهْجٍ لَاحِبٍ لا يَحْتَلِّ ، يُؤَيِّدُهُ هَدْيٌ صَادِقٌ  
 لا يَتَبَدَّلُ . ومهما تباينت مَسالِكُهُ في حياته ، وتنوعت  
 أعمالُهُ في حِياطَةِ مَعِيشَتِهِ ، فالنَهْجُ في كُلِّ دَرْبٍ من دُرُوبِها  
 هُوَ هُوَ لا يَتَغَيَّرُ ، والهُدْيُ في كُلِّ شَأْنٍ من شُؤُونِها هُوَ هُوَ  
 لا يَتَخَلَّفُ . تُوَلِّدُ الدَّرَّةُ مِنَ النَّمالِ ، وتَنمو ، وتبدأ سِيرَتِها  
 في الحِياة ، وتعمل فيها عَمَلِها الجِدِّ ، وتَفْرُغُ من حَقِّ  
 ٧ وَجُودِها ، ثم تَقْضِي نَحْبَها وتموت . هَكَذا هِيَ مُذْ كانت  
 ٨ الأَرْضُ وكانت النَّمالُ : لا تَتَحَوَّلُ عَنِ نَهْجِ ، ولا تَمُرُّقُ من  
 هَدْيِ . وتاريخُ أَحدِثِها مِيلادًا في مَعْمَعَةِ الحِياةِ ، كَتاريخِ  
 ١٠ أَعْرَقِ أَسلافِها هَلاكًا في حَوْمَةِ الفَناءِ . لا هِيَ تُحَدِّثُ  
 لِنَفْسِها نَهْجًا لم يَكُنْ ، ولا هِيَ تَبْتَدِعُ لَوارِثِها هَدْيًا لم يَتَقَدَّمْ .

(٢) سنّ الطريق : بينه ووطأه مستقيماً إلى قصد معروف .

(٣) نسقاً : أى نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل . منقاداً : سلبساً مفضياً إلى نهايته .

(٤) التُّراث : الإرث الموروث . والمؤبّد : الخالد منذ أبد الأبدين .

(٥) السنّة : الطريقة والسيرة اللازمة .

(٦) المنهاج : المسلك الواضح . والغاير : الماضى . والشرك : جادة الطريق لا تخفى معالمها ، لظهور آثار السائرين فيها ، فالسائر كأنه يهتدى فيها ويستقيم اضطراراً .

- فَسَلِّ كُلَّ حَيٍّ : كَيْفَ تَعْمَلُ ؟ وَلِمَ تَعْمَلُ ؟ وَمَنِ الَّذِي
- ٢ عَلَّمَكَ وَهَذَاكَ ؟ وَمَنِ الْإِمَامُ الَّذِي سَنَّ لَكَ الطَّرِيقَ ؟ وَبِأَيِّ
- ٣ عِبْقَرِيَّةٍ يَأْتِي إِبْدَاعُكَ ؟ وَلِمَ كَانَ عَمَلُكَ نَسَقًا مُنْقَادًا لَا يَتَغَيَّرُ ؟
- ٤ وَكَيْفَ كَانَتْ مَهَارَتُكَ ثَرَاءً مُؤَبَّدًا لَا يَتَبَدَّلُ ؟ وَحِذِّقْكَ طَبْعًا
- ٥ رَاسِخًا لَا يَتَحَوَّلُ ؟ وَلَمْ صَارَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِ مِنْكُمْ لِرَازِمًا عَلَى
- ٦ الْأَوَّاحِرِ ؟ وَمِنْهَاجُ الْغَابِرِينَ شَرَكًا لِلْوَارِثِينَ ؟ بَلْ كَيْفَ أَخْطَأَ
- الْآخِرُ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الْأَوَّلِ ؟ وَالْخَلْفُ أَنْ يُنَافِسَ
- صِنْعَةَ السَّلْفِ ؟ وَعَجَبًا إِذْنُ ! كَيْفَ صَارَ كُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ
- مُتَّقِنًا ، وَأَنْتَ لَمْ تَجْهَدْ فِي إِتْقَانِهِ ؟ وَأَنْتَى بَلَغْتَ فِيهِ الْغَايَةَ ، وَأَنْتَ
- مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْبِيرٍ وَمَشِيئَةٍ ؟ وَمَا أَنْتَ وَعَمَلُكَ ؟ أَتَحِبُّهُ وَتَأْلُفُهُ ؟

(١) تَشْتُوهُ : تجده قبيحًا شنيعًا فتبغضه . وتُخَامِرُكَ : تخالط نفسك فتغطّي  
على حسن تمييزك ، كما تفعل الخمر بالعقول .

(٨) مَدْرَجٌ أَوْلُهُ : ديب آباءه الأولين عليها ، وَدَرَجٌ الصَّبِيُّ : دبُّ على الأرض  
ومشى مشيًا ضعيفًا .  
(٩) الْفَرَطُ : السابق المتقدم .

١ أم تَشْتَبُوهُ وتَسَامُهُ ؟ أُنْخَامُرُكَ نَشْوَةَ الإعْجَابِ بِمَا أْبَدَعْتَ فِيهِ ؟  
 أم تَتَنَابَكُ لَوْعَةِ الحُزْنِ إِذَا أَصَابَهُ مَا يُتْلِفُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ ؟ أَلَمْ تَسْأَلْ  
 نَفْسَكَ قَطُّ : فِيمَ أَعْمَلُ ؟ وَلِمَ خُلِقْتُ ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ ؟  
 وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ جَوَابًا إِلَّا الصَّمْتِ  
 المُسْتَنْكَرِ ، وَالدُّهُولِ المُعْرِضِ ، وَالصَّمَمِ المُسْتَخْفِ الَّذِي  
 لَا يَعْبَأُ .

\* \* \*

إِلَّا الْإِنْسَانُ !! إِلَّا الْإِنْسَانُ !!

٨ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ مَدْرَجُ أَوَّلِهِ عَلَى أُمَّهِ الْأَرْضِ ؟ وَأَيْ

٩ هَدْيٍ كَانَ لِفَرَطِهِ فِي مَطْلَعِ الفَجْرِ ؟



(١) سُدى : مهملاً غير مأمور ولا مُنْهَى مُسَدَّد . الهَمَل : الضال المتروك بلا بيان يهديه أو يحكمه .

(٢) التَّهَجُّجُ الأوَّلُ والتهجُّجُ القديم : هو الفِطْرَةُ التى فَطَّرَ اللهُ عليها آدم وولده قبل اختلافهم وضلالهم ، ونزول التكليف ، وبُعْثَةِ الأنبياء .

(٤ - ٦) أنبط : استخرج الماء من بطن الأرض . الذخائر : ( جمع ذخيرة ) : وهو ما تخبئته فأخفيته ودفنته عن العيون . يستبحر : ينشق ويتسع ويصير كالبحر لا ينقطع ماؤه . السرائر ( جمع سريرة ) : وهو ما كان مكتوماً كالسر ، لا يعرف حتى تعلمه . والفتح : ما انفتح بعد استغلاق .

(٧) تأيَّد : صار ذا أيْدٍ وقوة وتمكَّن . تأثَّل : تقادم عهده وثبت أصله . عمَّر : عاش وبقي زماناً طويلاً .

(٩) حاد : مال عنه وعدل إلى غيره . مَرَّق : حَرَّقَه وخرج إلى ضلال المسالك .

- ١ إِنَّهُ كَكَالٍ حَيٍّ ، لَمْ يُخْلَقْ سُدًى وَلَمْ يُتْرَكْ هَمَلًا ، سَلَكَ لَهُ
- ٢ رُبَّهُ النَّهَجَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَتَكَاتَرَ ، وَأَتَاهُ الْهَدَى الْقَدِيمَ حَتَّى
- يَسْتَحْكِمَ ، وَسَدَّدَ يَدَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ ، وَأَنَارَ بَصِيرَتَهُ حَتَّى
- ٤ يَسْتَكْمِلَ ، وَأَبْطَأَ فِيهِ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ حَتَّى يَسْتَبْحِرَ ، وَفَجَّرَ
- فِيهِ سَرَائِرَ الْإِتْقَانِ حَتَّى يَسُودَ وَيَتَمَلَّكَ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ حَتَّى
- يَسْتَفْهِمَ ، وَكَرَّمَهُ بِالْفَتْحِ حَتَّى يَتَغَلَّبَ .
- ٧ فَلَمَّا ثَبَّتَ عَلَيْهَا وَتَأَيَّدَ ، وَتَأَثَّلَ فِيهَا وَعَمَرَ ، نَظَرَ إِلَى
- مَعْرُوفِهَا فَاعْتَبَرَ ، وَهَجَمَ عَلَى مَجْهُولِهَا فَاسْتَنْكَرَ ، فَكَأَنَّهُ مِنْ
- ٩ يَوْمئِذٍ حَادٍ عَنِ النَّهْجِ الَّذِي لَا يَخْتَلُّ ، وَمَرَقٍ مِنَ الْهَدَى
- الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ .

(١) تمرس : احتك بالشيء فأثر فيه . أسلم : ترك مخذولاً بلا هداية .

(٢) نزع : حن واشتاق .

(٤) احتفر : بذل الجهد في الحفر . أكذى حافرُ البئر : إذا حفر فبلغ الصخور ، فقطع الحفرُ خيبةً وبأساً .

(٥) نبعثُ : انفجر منها الماء يتبوعاً . نذتُ : نفرت هاربة واستصعبت . استقادت : خضعت وأعطته المقادة .

(١٠) جاشت نفسه : فارتفعت . والصبابة : بقية الماء التي تصب .

١. أَبْتَلَى مِنْ يَوْمَيْدِ فْتَمَّرَسْ ، وَأُسْلِمَ لِمَشِيئَتِهِ فَتَحْيِرَ . جَارَ
٢. وَعَدَلَ ، فَعَرَفَ وَجَرَّبَ . أَخْطَأَ وَأَصَابَ ، فَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ . نَزَعَ
- إِلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، فَأُحْفِقَ وَأُدْرِكَ . تَأَقَّ إِلَى الْهَدْيِ الْقَدِيمِ ،
٤. فَأُعْطِيَ وَحُرِّمَ . أَحْتَفَرَ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ ، فَأَكَّدَتْ عَلَيْهِ تَارَةً
٥. وَبَعَثَ . التَّمَسَ شُورَادَ الْإِتْقَانِ ، فَتَدَّتْ عَلَيْهِ مَرَّةً وَاسْتَقَادَتْ .
- وَإِذَا كُلُّ صُنْعٍ يَتَقَاضَاهُ حَقٌّ إِحْسَانِهِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ يَحْنُ بِهِ إِلَى
- قَرَارَةِ إِتْقَانِهِ . فَعِنْدَيْدِ حَاكَ الشُّكُّ فِي صَدْرِ اللَّاحِقِ ، حَتَّى قَدَحَ
- فِي تَمَامِ صُنْعِ السَّابِقِ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ . وَقَلَقَ الْوَارِثُ ، حَتَّى
- خَافَ تَقْصِيرَ الذَّاهِبِ ، فَاسْتَنْكَفَ الْإِذْعَانَ إِلَيْهِ . فَكَذَلِكَ
١٠. جَاشَتْ نَفْسُهُ ، حَتَّى أَنْدَفَقَتْ صُبَابَةً مِنْهَا فِيمَا يَعْمَلُ ، وَتَضَرَّمَ

- (١) الميسم : أثر الوسم بالنار . تدلّه : ذهب عقله من الحب والهوى .
- (٢) استجاد : وجد لذة جودته وحسنه .
- (٣) الزهو : التيه والفخر والعظمة .
- (٥) ختله : خدعه على حين غفلة .
- (٦) عدت إليه : أسرعته إليه على حين بغتة . والنبوة : القلق الذى يمنع الاطمئنان .
- (٧) أعلام ( جمع علم ) : وهو المنار الذى يُنصب فى الطرق لهداية السارين .
- (٨) ركذ البرق : سكن وميضه . والبوارق ( جمع بارقة ) : وهى السحابة ذات البرق .

- ١ قلبه حتى ترك ميسمه فيما أنشأ ، فتدله بصنع يديه ، لأنه  
 ٢ استودعه طائفةً من نفسه ، وفتن بما استجد منه ، لأنه أفنى  
 ٣ فيه ضيرًا من قلبه . وإذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه  
 وملك ، ويضنيه الأسي عليه إذا ضاع أو هلك .

- ٥ هذا هو الإنسان وعمله . فإذا دبَّت بينهما جفوة تحبيل  
 ٦ النفس حتى تملّ وتسام ، أو عدت إليهما نبوة تراود القلب  
 ٧ حتى يميل ويُعرض ، أنطمست عندئذ أعلام النهج الأول ،  
 ٨ وركدت بوارق الهدى المتقادم ، وبقي الإنسان وحيدًا  
 ملومًا محسورًا لا يزال يسأل نفسه : فيم أعمل ؟ ولم خلقت ؟  
 وفيم أعيش ؟

(٨) صافاه : أخلص له الحب ، وأعطاه صَفْوَ مِرْدَتِهِ وَهَمَّهُ .

فما يكون جوابه إلا حَيْرَةً لا تَهْدَأُ ، وهيبًا لا يَطْفَأُ ،  
وظلامًا لا يَنْفِشِع .

\* \* \*

بل حَسْبِي وحسبِكَ . فلقد خشيتُ أن تقول لى :  
إِنَّمَا أَنْتَ تَحَدِّثْنِي عَنِ الْفَنِّ ، فهذه صِفَةُ أَهْلِهِ = لا عن  
العمل ، فليس هذا من نَعْتِهِ ! وكأني بك قد قلت : إنَّ  
الْفَنَّ تَرَفُّ مُسْتَحَدِّثٌ ، أمَّا الْعَمَلُ فَشِقَاءٌ مُتَقَادِمٌ . هذا  
مِمَّا تَعْجَلُهُ الْإِنْسَانُ وَعَانَاهُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَذَلِكَ مِمَّا تَأْتِي  
فِيهِ وَصَافَاهُ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِلَدَّتِهِ . وَالْإِنْسَانُ إِذَا جَوَّدَ الْعَمَلَ ،  
فَمُنْتَهَى هَمُّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى قَضَاءِ مَآرِبِهِ أَعْوَنَ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ  
فِي أَسْبَابِ مَعِيشَتِهِ أَنْجَحَ وَأَرْبَحَ . أمَّا الْفَنُّ ، فَثَمَرَةٌ لِغَيْرِ



(١ ، ٢) المتأنق : الذى يعمل الشيء بتجويد يأتى فيه بالعجب ، حباً لما يعمل وإعجاباً به . ثرة : غزيرة الماء . لاعج : محرق يَسْتَعِرُ فى القلب ويترك فيه آثاراً .

(٤) ممتن : مبتدل . ومدخور : يتخذ المرء ذخيرة يصطفها ويضمن بها .

(٥) فسق : خرج منها إلى الضلال . والتلاد : القديم الموروث الذى يولد معك .

(٦) استغواه : طلب غوايته وضلاله . وانسلخ : نزع نفسه منه . والمركز : أصله ، قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة فى باطن الأرض . والجيلة : الطبيعة الراسخة التى يبنى عليها الخلق .

(٧) يعتسفه : يركب طريقه بلا رويّة ولا هداية ولا أناة .

(٩) الضراوة : اعتياد الشيء حتى لا يكاد المرء يصبر عنه . والنهمة : الشهوة

التي تسوق النفس فلا تكاد تنتهى . انبتت : أتعب دابته فى السير حتى انقطعت بلا رجعة .

(١٠) الفلاة : الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس . مطموسة : دراسة

لا أثر فيها .

(١) عضل : ضاق فلم يدخل ولم يخرج .

(٤) الخبء : الخبوء . التليد : القديم الموروث . استوى : بلغ غاية نمائه واعتدل .

(٥) استحصد : حان له أن يؤتى حصاده . يعتمله : يجاهد في عمله .

(٧) يرقُ : يرقق ويتألاً .

(٩) يسفر : يشرق ويبين ويتوضح . والمدبُ : موضع ديبب الأقدام .

(١٠) الدروس : ذهاب الآثار وإحماؤها . والعفاء : تراكم التراب الذى يطمس

الآثار . استشرى البرق : تتابع لمعانه . والوميض : لمعان البرق فى نواحي الغيم .

(١١) يفصم : ينفصل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله .

- ١ شجرته ، يَسْقِيهَا مَتَانِقَ مِنْ يَنَابِعِ ثَرَّةٍ فِي وُجْدَانِهِ ،  
 وَيُنْضِجُهَا مَشْغُوفَ بِلَاعِجٍ مِنْ وَجْدِهِ وَأَفْتَانِهِ ، فِي غَيْرِ  
 مَخَافَةٍ مَرهُوبَةٍ ، وَلَا مَنَفَعَةٍ مَجْلُوبَةٍ . فِذَاكَ إِذَنْ بِطَبِيعَتِهِ  
 ٤ مُسْتَهْلِكٌ مُمْتَهِنٌ ، وَهَذَا لِحُرْمَةِ نَشَاتِهِ مَذْخُورٌ مُكْرَمٌ .
- ٥ وَأَقُولُ : بَلْ أَنْتَ تُحَدِّثُنِي عَنِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ فَسَقَ عَنِ تِلَادِ  
 ٦ فِطْرَتِهِ ، وَاسْتَعْوَاهُ الشَّخَّ حَتَّى أَنْسَلَخَ مِنْ رِكَازِ جِبَلِيَّتِهِ . غَرَّةُ  
 ٧ مَا أُوتِيَ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَاقْتَحَمَ عَلَى غَيْبِ مُدَبِّرٍ ، يَعْتَسِفُهُ  
 بِسَفَاهَةِ جُرْأَتِهِ . وَاسْتَخَفَّهُ مَا أُعِينَ بِهِ مِنَ الْمَشِيئَةِ ، فَهَجَمَ  
 ٩ عَلَى خَيْرٍ مَبْذُولٍ ، يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ بِضَرَاوَةِ نَهْمَتِهِ . فَأَنْبَتَ مِنْ  
 ١٠ يَوْمِيذٍ فِي فَلَاةٍ مَطْمُوسَةٍ بِلَا دَلِيلٍ ، يَظَلُّ يَكْدَحُ فِيهَا كَدْحًا  
 حَتَّى يُنَادِيَ لِلرَّحِيلِ !

- ١ جَاءَ مُيسِرًا لشيءٍ خُلِقَ له ، فظلمه حقّه حتى عَضِلَ  
بأمره فتعسّر ، وهُدِيَ مسدّدًا إلى غاية ، ففعل عنها حتى  
تبدّد حَطْوُهُ واختلّ . ولو دانَ الإنسانُ بالطاعة لفطرتَه  
٤ المكنونة فيه منذ وُلِدَ ، لأفضى إلى خبيئها التليد إذا ما آستوى  
٥ نَبْتُهُ وآستحصد . ولصارَ كلُّ عملٍ يَعْتَمَلُهُ ، تدريبيًا  
لما استعصى منه حتّى يلينَ وينقادَ ، وتهدييًا لما تراكم فيه حتى  
٧ يَرِفَ ويتوهج . فإذا درِبَ عليه وصبرَ ، أزال الثرى عن نَبج  
مُنْبثق ، فإذا ألحَّ ولم يَمَلَّ ، انشقت فطرتُه عن فيض  
٩ متدفّق . ويومئذ يُسْفِرُ لعينيه مدبُّ النهج الأوّل ، بعد  
١٠ دُرُوسه وعفائه ، ويستشْرِى في بصيرته وميضُ الهدى  
١١ المتقادِم ، بعد ركدته وخفائه . وإذا كلَّ عملٍ يَفصِمُ عنه

(٣) الحشاشة : روح القلب ، ورَمَقُ حياة النفس :

(٤) الصبوة : الحنين الداعى إلى الميل مع الهوى .

(٦) الإرث : الأصل الموروث .

(٧) السليقة : الطبيعة التى لا تحتاج إلى تعلم . معرق : أصيل : له عروق ممتدة إلى أصوله .

(٨) غُرُضُ البشر : غَمَارِهِمْ وَكثرتهم ، بلا تحديد أو تعيين .

مُتَّقِنًا ، وكأنه لم يجهد في إتيانِه ، وإذا هو مُشْرِفٌ فيه على  
 الغاية ، وكأنه مسلوبٌ كلَّ تدييرٍ ومشيئةٍ ، ولكنه لا يفصم  
 ٣ عنه حين يفصم ، إلا مطوياً على حُشاشةٍ من سِرِّ نفسه  
 ٤ وحياته ، موسوماً بلوعةٍ مُتَضَرِّمةٍ ، على صَبْوَةٍ فَنِيَتْ في  
 عِشْرته ومَعَاناته .

٦ فالعملُ كما تَرَى ، هو في إزِثِ طَبِيعته فنُّ مُتَمَكِّنٍ ،  
 ٧ والإنسانُ بِسَلِيقَةِ فِطْرته فَنَانٌ مُعْرِقٌ .

\* \* \*

٨ وإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ الْآنَ عن رَجُلٍ من عُرُضِ البِشْرِ ،

(١) صابر : تكَلَّفَ معها الصبر على عَنَتٍ ومشقة .

(٢) نَفَسًا : قليلاً يُنَفِّسُ عنه .

(٦) توجست : تسمعت إلى صوته الخفي على خوف .

(٧) بَيِّضَةُ الصَّيْفِ : شدة حرّه .

(٨) مَجْتَمُهُ : جنومه في مكمنه لا يتحرك . وَالْقُتْرَةُ : حُفْرَةُ الصَّائِدِ يَكْمُنُ

فيها . قليل التلاد : لا مال له موروث .

(٩) الجهاد : الموضع الذي يمهده لنفسه .

- ١ يَتَعَيْشُ بِكَدِّ يَدَيْهِ ، صَابِرَ الْفَاقَةِ عَامِينَ ، يَعْمَلُ عَمَلًا يُفْلِتُ  
 ٢ نَفْسًا مِنَ الْغِنَى إِلَيْهِ ، أَغْوَاهُ ثَرَاءُ يَبْهَرُهُ ، فَمَا كَادَ يُسَلِّمُهُ  
 لِلْبَيْعِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِ .

لم أعرفه ، ولكن حدثني عنه رجلٌ مثله عمله البيان ،  
 ذاك فطرته في يديه ، وهذا فطرته في اللسان .

\* \* \*

- ٦ هذا عامرٌ أخو الخضر : توجَّست به الوحش من  
 ٧ عرفانها شدة نِقْمته ، جاءت ظامعة في بَيْضَةِ الصَّيْفِ ،  
 ٨ فراعها مجثمُهُ في قُتْرته . قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،  
 ٩ حَفَى الْمِهَادِ ، غَيْرَ مُقْلَةٍ تَتَضَرَّمُ . تَبَيَّنَتْ لَمَحَ عَيْنِيهِ ،



(١) شريعة الماء : الموضع الذى ينحدر إلى الماء .

(٥) الغَيْلُ : الشجر الكثير المتلف . نَمَاهَا : رفعها وسَوَّاهَا وانتسبت إليه .

(٦) اجْتَبَاهَا : اختارها واصطفأها .

(٧) انْفَل : تغلغل بين شجرها . الحِشَا : الجُوف . العَيْص : الشجر النابت

بعضه فى أصول بعض .

(٨) أَنْحَى : وَجَّهَ وَسَدَّدَ . اخْتَلَاهَا : جَزَّأَهَا وَقَطَعَهَا .

١ فانقلبت عن شريعة الماء هاربة ، ذكرت نكايه مرماه ،  
فأثرت ميتة الظما على فتكة الأسهم الصائبة .

وما عامر وقوسه !؟

- فدع الشمخ ينبك عن قواسها البائس في حيث أتاها :
- ٥ أين كانت في ضمير الغيب من غيل نماها ؟
- ٦ كيف شقت عينه الحجب إليها ، فأجتابها ؟
- ٧ كيف ينغل إليها في حشا عيص وقاها ؟
- ٨ كيف أنحى نحوها مبراته ، حتى أختلاها ؟
- كيف قررت في يديه ، وأطمأنت لفتاها ؟
- كيف يستودعها الشمس عامين .. تراه ويراهما ؟

(١) اللحاء : قشر العود من الشجر .

(٤) ذاق القوس : جذب وترها لينظر ما شدتها .

(٨) يهيمى : يسقط ويسيل .

(٩) رداها : جعله لها رداءً . واليز : الثياب .

- ١ كَيْفَ ذَاقَ الْبُؤْسَ .. حَتَّى شَرِبَتْ مَاءَ لِحَاهَا ؟
- كَيْفَ نَاجَتْهُ .. وَنَاجَاهَا .. فَلَانَتْ .. فَلَوَاهَا ؟
- كَيْفَ سَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. فَقَامَتْ .. فَقَضَّاهَا ؟
- ٤ كَيْفَ أَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ ، إِذَا ذَاقَ ، هَوَاهَا ؟
- أَيُّ ثَكْلَى أَعْوَلَتْ إِذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا ؟
- كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا ؟ كَيْفَ يُصْنَعِي لُبَّكَاهَا ؟
- كَيْفَ رِيحَ الْوَحْشِ مِنْ هَاتِفِ سَهْمٍ إِذْ رَمَاهَا ؟
- ٨ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقًا ، فِي لَيْلَةٍ يَهْمِي نَدَاهَا ؟
- ٩ كَيْفَ رَدَّاهَا حَرِيرَ الْبَزِّ حِرْصًا وَكَسَاهَا ؟
- كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا ؟ وَتَعَالَى وَتَبَاهَى ؟

(٧) سفاها : دعاء عليه بخسران نفسه .

(٩) ثياب الخال : ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال . العصب : يرود كانت تصنع باليمن ، يعصب غزلها ويجمع ثم يصنع فيأتى موشياً ، لبقاء ما عُصِب منه أبيض لم يأخذه صبغ . والموشى : المختلط الألوان .  
(١٠) الأديم : الجلد المدبوغ . المقروظ : المدبوغ بالقرظ . أربى : زاد ماله وارتفع على ما يستحقه . شراها : باعها .

كَيْفَ وَافَى مَوْسِمَ الْحَجِّ بِهَا ؟ .. مَاذَا دَهَاهَا ؟  
 أَيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سِرَّهُمَا الْمُضْمَرَ ؟ .. بَلْ كَيْفَ رَأَاهَا ؟  
 أَنْبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقِضُ إِلَيْهَا .. فَأَتَاهَا !!  
 مَسَّهَا ذُو لَهْفَةٍ تَخْفَى .. ، وَإِنْ جَارَتْ مَدَاهَا  
 - قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَوَّى !! وَأَفْدَى مَنْ بَرَّاهَا  
 أَنْتَ .. !! بَعْنِيهَا ..

٧ - نَعَمْ إِنْ شِئْتَ !! [ نَعْسًا وَسَفَاهًا ]

- قَالَ : بِالتَّبْرِ .. وَبِالْفِضَّةِ ، بِالْحَزِّ ... وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا

٩ بِشِيَابِ الْحَالِ .. بِالْعَصَبِ الْمُوشَى .. أَتَرَاهَا ؟

١٠ وَأَدِيمِ الْمَاعِزِ الْمَقْرُوظِ .. أَرَى مِنْ شَرَّاهَا !

(٢) شاة الوجهُ : صار قبيحًا مشوهًا تكرهه النفسُ .

(٦) اشتراها : باعها .

(٧) تاة : من التَّيِّه ، وهو العُجْب والفرَح .

[ كَيْفَ قَالَ الشَّيْخُ؟ .. كَلًّا! إِنَّهَا بَعْضِي! وَالْمَالُ؟ بَلِ الْمَالُ فَدَاهَا  
 ٢ إِنَّهَا الْفَاقَةُ وَالْبُؤْسُ!! .. نَعَمْ! .. هَذَا غِنَى!! .. كَلًّا وَسَاهَا  
 بَلْ كَفَانِي فَاقَةً .. لَا! .. كَيْفَ أَنْسَاهَا؟ .. وَأَنْتَى؟! وَهَوَاهَا ]

لَمْ يَكُدْ .. حَتَّى رَأَى نَاسًا ، وَهَمَسًا ، وَشِفَاهَا :  
 بَايَعَ الشَّيْخَ ! أَحَاكَ الشَّيْخَ ! .. قَدْ نِلْتَ رِضَاهَا !!  
 ٦ إِنَّهُ رَيْحٌ .. ! فَلَا يُفْلِتُكَ ! .. أَعْطَى ، وَأَشْتَرَاهَا !

وَرَأَى كَفْيَهُ صِفْرًا ، وَرَأَى الْمَالَ .. فَتَاهَا  
 ٧ لَمِحَةً .. ، ثُمَّ تَجَلَّى الشُّكُّ عَنْهُ .. ، فَبَكَاهَا !



(٦) آسْتَهْلُ الْمَطْرَ : هَطَلْتُ وَاشْتَدَّ انْصَابُهُ .

(٧) احْتَفَلَ السَّيْلُ : جَاءَ بِمِلْءِ جَنَّتِي الْوَادِي .

(٨) ابْتَزَّهَا : غَلَبَهَا وَغَصَبَهَا وَسَلَبَهَا . وَالْبِلَابُ : وَسَاوَسَ الْقَلْبَ الَّتِي تَضْطَرِبُ

فِيهِ . الرَّجَلُ : شِدَّةُ الْخَوْفِ .

(٩) مَثَّلَ : انْتَصَبَ قَائِمًا .

وَرَأَاهَا بِدُمُوعٍ ، وَيَحَهُ ! كَيْفَ رَأَاهَا !؟  
 فَتَوَلَّى .. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وُلَطَّاهَا !  
 حَسْرَةً تُطْوِي عَلَى أُخْرَى .. ، فَأَغْضَى .. وَطَوَّاهَا !

\*\*\*

فاسمع إذن صدى صوت الشِّمَّاخ :

تَجَاوَبُ عَنْهُ كُهُوفُ الْقُرُونِ ، تَرَدَّدَ فِيهَا كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ  
 ٦ وَأَوْفَى عَلَى الْقِمَمِ الشَّامِحَاتِ : جِبَالٌ مِنَ الشُّعْرِ مِنْهَا آسْتَهَلُّ  
 ٧ تَحَدَّرُ أَنْعَامُهُ الْمُرْسَلَاتُ ، أَنْعَامٌ سَيْلٌ طَعَى وَأَحْتَفَلُ  
 ٨ رَأَى حُمْرَ الْوَحْشِ ، فَأَبْتَرَهَا بِلَابِلِهَا مِنْ حَدِيثِ الْوَجَلِ  
 ٩ رَأَاهَا ظِمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ ، فَفَرَّعَهَا عَنْهُ خَوْفٌ مَثَلُ

(٣) ذو الأراكة : موضع الماء . النَّهْلُ : أول الشرب عند ورد مناهل الماء .

(٤) حَلَّاهَا : طردها عن الماء ومنعها الورد .

فَطَارَتْ سِرَاعًا إِلَىٰ غَيْرِهِ ، بَعْدُو تَضَرَّمٌ حَتَّىٰ أَشْتَعَلَ  
 فَلَمْ تَذُنْ حَتَّىٰ رَأَتْ صَائِدِينَ ، فَصَدَّتْ عَنِ الْمَوْتِ لَمَّا أَهَلُّ  
 ٣ فَكَالْبَرْقِ طَارَتْ إِلَىٰ مَأْمَنِ عَلَىٰ ذِي الْأَرَاكَةِ صَافِي النَّهْلِ

٤ ... فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَةِ عَامِرٌ  
 أَنُحُو الْحُضْرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ؛  
 كَانَ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزٌ

(٤) راجفات الحذر : التي تُرْجَف بالقلب ، حتى يضطرب اضطرابًا شديدًا .

(٥) لَوَاهَا : صَرَفَ وجوهها عن الشرب .

(٧) الحَصَاصَة : الجوع والفقْر والحاجة وسوء الحال . والبَيْس : الفقير البائس الشديد البؤس .

(٨) مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ : التي تنهض به داعية الفرار .

مُطْلًا بَزْرَقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيهَا ،  
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعِ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

٤ فكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا الْبَيَانَ حَتَّى رَأَى بَعْضُ الْحُمْرِ ؟  
وَكَيْفَ تَعَلَّقَلَ هَذَا اللِّسَانَ وَبَيَّنَّ عَنْ رَاجِحَاتِ الْحَذَرِ ..

٥ .. لَوَاهَا عَنِ الرَّيِّ عِرْفَانُهَا أَخَا الْخُضْرِ ، عِرْفَانَ مَنْ قَدْ عَقَلَ !  
وَعَلَّمَهَا أَيْنَ تُكْوَى الْجُنُوبُ بِنَارِ الطَّيِّبِ لِذَائِ نَزَلَ !  
٧ وَأَنَّ الْخِصَاصَةَ قَوْسُ الْبَيْسِ ، إِذَا أَنْقَذَ السَّهْمُ عَنْهَا قَتَلَ !  
٨ يُسَابِقُ مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَقِلَّ !

(٣) صفراء : هي القوس لصفرتها . فاقعة : خالصة اللون مُشرقة .

(٤) الحائِِمات : التي تحوم حول الماء عطاشًا . الحَتْفُ : الهلاك . أَظَلَّ : دنا  
وقرب ، وألقى على الشيء ظله .

فَيَدْرِكُهَا الْمَوْتُ مَعْرُوسَةً قَوَائِمُهَا فِي الثَّرَى .. ، لَمْ تَزُلْ !  
 وَعَرَفَهَا أَنَّهُنَّ السَّهَامُ : زُرُقٌ تَلَالُؤٌ أَوْ تَشْتَعِلُ !  
 ٣ وَصَفْرَاءُ فَاقِعَةٌ ، أَذْكَرْتُ مَصَارِعَ آبَائِهِنَّ الْأَوَّلِ  
 ٤ سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الْحَائِمَاتِ ، وَقَوْسٌ تُطِلُّ بِحَتْفٍ أَظْلُ !

تَحْيَرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ  
 لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،  
 فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيْلِهَا مُتَلَاخِزُ



فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ  
وَيَنْعَلُ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهَوَّ بَارِزُ

فَأَنَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا  
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتَ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى  
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزَوَّرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

(٢) المنسِدِلُ : الطويل المسترخى المُرسَل .

(٣) عَضِيْلٌ : داهيةٌ منكر شديد العَلْبَة .

(٤) صَلَّى : دعا وعظَّم الله وقَدَّسه . هَلٌ : فرح وصاح .

(٥) الكِرْنُ : المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون .

(٦) مُهَدَّلَةٌ : مُرْحَاة متدلّية . الأَسَلُ : نبات دقيق القضببان طويل شديد الاستواء .

(٧) يبيس : يابس . ذو شوكةٍ : ذو شوكةٍ . أشْرَطَهَا نَفْسُهُ : أعدّها لها نفسه ،  
إِنَّمَا أَنْ يَنَالَهَا أَوْ يَهْلِكَ ، غير مُبَالِي .

(٨) الباتر : القاطع كالسيف . أَنْقَلٌ : تغلغل . الْمُخْتَبِلُ : الذاهب العقل .

(٩) يَحْتُ البيبس : يستأصل اليباس ويرميه . وَيُرْدِي : يسقط الرطب .

وَيُعْمِضُ : يُوعِل .

(١٠) حَيَّهْلٌ : كلمة تقال للحث والاستعجال .

- ٢ تَخِيرَهَا بِأَيْسٍ ، لَمْ يَزَلْ يُمَارِسُ أُمَّثَالَهَا مُذْ عَقَلَ  
 تَبَيَّنَهَا وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ ، وَمِنْ دُونِهَا سِتْرُهَا الْمُنْسَدِلُ
- ٣ حَمَاهَا الْعُيُونُ فَأَخْطَأَتْهَا ، إِلَى أَنْ أَتَاهَا خَبِيرٌ عَضِلُ
- ٤ رَأَى غَادَةً نَشَّتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ ، فَصَلَّى وَهَلَّ
- ٥ فَنَادَتْهُ مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ : لَيْبِكَ ! [ يَا قَدْهَا الْمُعْتَدِلُ ! ]
- ٦ سَتُورٌ مُهْدَلَةٌ دُونَهَا ، وَحُرَّاسُهَا كَرِمَاجُ الْأَسَلِ
- ٧ يَبِيسٌ وَرَطْبٌ وَذُو شَوْكَةٍ !! فَأَشْرَطَهَا نَفْسُهُ .. لَمْ يُبَلِّ
- ٨ وَسَلَّ لِسَانًا مِنَ الْبَاتِرَاتِ ، .. وَأَنْعَلَّ عَاشِقُهَا الْمُحْتَبَلُ !!
- ٩ يَحْتُ الْيَبِيسَ ، وَيُرْدِي الرُّطَابَ ، وَيُعْمِضُ فِي ظُلُمَاتٍ تُضِلُّ
- ١٠ فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزًا إِلَى الشَّمْسِ .. قَدْ نَالَهَا ! حَيْهَلُ !!

- (١) أَنحَى : وَجَّهَ نَاحِيَتَهَا . اللِّسَانُ الحَدِيدُ : هُوَ المِيزَانَةُ الحَادِةُ القَاطِعَةُ .  
حَصِيمٌ : شَدِيدُ الخِصُومَةِ . جَدِيلٌ : شَدِيدُ اللَّدَدِ فِي الخِصُومَةِ .
- (٢) شَرِيْسٌ : شَدِيدُ الشَّرَاسَةِ . عَيْتٌ : طَالَ تَمَرُّدُهُ وَكِبْرُهُ . قَدِيمُ الأَجَلِ :  
مُتَقَادِمُ العَمْرِ .
- (٣) الجَذَلُ : الفَرَحُ الذِي يَهْزُ الأَعْطَافُ .
- (٤) تَسْتَرِقُّ : تَسْرِقُ خَاسِئَةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .
- (٦) المُقْتَبِلُ : الذِي سَوفَ يَسْتَقْبِلُهُ .
- (٧) الخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ الَّتِي تَخْلُلُ النَفْسَ . أَنفَتَلَ : انصَرَفَ عَنْهُ مُسْرِعًا مُعْرِضًا ،  
وَلَوَّى وَجْهَهُ عَنْهُ .

- ١ فَأَنْحَى إِلَيْهَا اللِّسَانَ الْحَدِيدَ يَبْرُقُ .. ، وَهُوَ خَصِيمٌ جَدَلٌ  
 ٢ عَدُوٌّ شَرِيسٌ ، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتِيٍّ قَدِيمٍ الْأَجَلُ  
 ٣ فَأَتُكَلُّ أُمَّا غَدَتُهَا النَّعِيمَ ، وَرَاحَ بِهَا وَهُوَ بَادِي الْجَدَلِ  
 ٤ فَلَمَّا أَطْمَأَنَّتْ عَلَى رَاحَتِيهِ ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرْقَانِ الْقُبُلِ  
 رَقَاهَا ، فَأُحْيِي صَبَابَاتِهَا بِتَعْوِيدَةٍ مِنْ خَفِيِّ الْعَزْلِ  
 ٦ فَنَاجَتْهُ .. ، فَاهْتَزَّ مِنْ صَبْوَةٍ ، وَمِنْ فَرَجِ الْبِغْنَى الْمُقْتَبِلِ  
 ٧ وَأَعْرَضَ عَنِ كُلِّ ذِي نُحْلَةٍ ، غَنَى بِالَّتِي حَازَمَهَا .. وَأَنْفَتَلَ ..

فَمَطَّعَهَا غَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،

وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِرٌ

(٣) اللحاء : قشر العود من الشجر . الحَضِيلُ : الناعم الرطب الندى .

(٦) البِدَادَةُ : رِثَاءُ الهَيْمَةِ وسُوءُ الحَالِ .

(٧) لَهِيْفٌ : شديد التلهُّفِ والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها .

(٨) الهَجِيرُ : شِدَّةُ الحَرِّ عند نصف النهار .

(٩) تمحَّصَ : سقط عنها فخلصت منه واشتدت . أمْلُودها : قوامها اللدُّنُ الناعم .

أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَأَهَا ،  
 كَمَا قَوَّمتُ ضِغْنَ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ

- ٣ مَعَ الشَّمْسِ عَامِينَ .. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءِ حَضِيلٍ  
 وَفِي البُوسِ عَامِينَ .. يَحْيَى لَهَا ، وَيُحْيِيهِ مِنْهَا : العِنَى وَالْأَمَلُ  
 تَرَدَّدَ عَامِينَ .. مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا ، عِنْدَ سَفْحِ الجَبَلِ  
 ٦ يُعْنَى لَهَا ، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ ، بَادِي البِدَاذَةِ ، حَتَّى هُزِلَ  
 ٧ يُقَلِّبُهَا بِيَدِي مُشْفِقٍ ، لَهِيْفٍ ، لَطِيفٍ ، رَفِيقٍ ، وَجِلٍ  
 ٨ يُعْرَضُهَا لِلْهَيْبِ الهَجِيرِ ، رُؤُوفًا بِهَا ، عَاكِفًا لَا يَمَلُ  
 ٩ فَلَمَّا تَمَحَّصَ عَنْهَا النِّعِيمُ ، وَأَشْتَدَّ أُمْلُودُهَا ، وَأَنْفَتَلَ

(١) النشور : العصيان وترك الطاعة . والمُبدِل : المفرط في دلاله ، كدلال المرأة على زوجها .

(٢) الثِّقَاف : حديدة في طرفها حُرُق يتسع للقوس ، ليقوم عوجها . الممثل : المحتذى بالأمر الذي يؤمر به .

(٣) الحِجَل : ارتاع فارتدَّ مسرعًا .

(٥) الطريدة : قَصَبَةٌ مُجَوِّفَةٌ بقدر ما يلزم القوس ، فيها سَفَنٌ خَشِين ، والسَفَنُ ( بفتحيتين ) هو ما يُسَمَّى عندنا اليوم ( السنفرة ) ، وهي عامية .

(٦) مَجَلٌّ : شديد المكر والقوة .

(٨) رِيًّا : ناعمة يَبْرُقُ فيها ماء الصفاء . جَفَلٌ : ارتاع من حُسْنِهَا .

(٩) استَهَلَّتْ : تَلَأَلَّتْ . ضِعْفُهَا : عَسْرُهَا والتواؤُهَا وصمومة انقيادها . ابتهل :

أخلص في تسييح الله .



- ١ عَصْتُهُ ، وَسَاءَتْهُ أَخْلَاقُهَا نُشُورًا .. فَلَمَّا آتَوَتْ كَالْمِيدَلِّ
- ٢ أَعَدَّ الثَّقَافَ لَهَا عَاشِقٌ يُودِّبُهَا أَدَبَ الْمُمَثِّلِ
- ٣ وَعَضَّ عَلَيْهَا .. فَصَاحَتْ لَهُ ، فَاشْفَقَ إِشْفَاقًا ، وَأَنْجَفَلَ
- فَجَسَّ ، فَعَاظَتْهُ وَأَسْتَعْلَظَتْ ، فَعَضَّ بِأُخْرَى ، فَلَمْ تَمَثِّلِ
- ٥ فَالْقَى الثَّقَافَ .. ، وَأَوْصَى الطَّرِيدَةَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا ، لَا تَكِلْ
- ٦ وَالْقَمَمَهَا قَدَّهَا ، فَأَتَبَّرَتْ تُحَاشِنُهَا بِعَلِيظِ مَجَلِّ
- يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ الْعِنَادِ ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّعْبِ ، حَتَّى تَذُلَّ
- ٨ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةٌ ، وَمَمَشُوقَةٌ الْقَدِّ رِيًّا ، جَفَلَ
- ٩ وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ ، وَلَانَ لَهُ ضِعْنُهَا .. وَأَبْتَهَلَ

وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا  
 كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

إِذَا أَبْضَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرَنَّمَتْ  
 تَرْنَمَ ثَكَلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الظُّبَى سَهْمُهَا !  
 وَإِنْ رِيحَ مِنْهَا أَسْلَمْتَهُ النَّوَاقِزُ

(٤) الحَصَانُ : الحرّة الممتنعة التي تعف عن الريبة .

(٥) جَهْلٌ : استنزله الشيطان واستخفه .

(٧) العَمَلُ : الذى يحسن العَمَل والحركة فيما يعمل .

(٨) أُذُوبٌ : ( جمع ذئب ) . أمها : هى الشجرة التى أخذت منها القوس .

(٩) على أربع : أى على أربع طاقات ، وهو أكرم للوتر وأقوى .

(١٠) حَنَّتْ : رجّعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكى . المُضَيَّلُ : الذى

قد ضل عنه أحبابه أو فارقه ، فهو يَشُدُّهُمْ .

- أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بِالْوَجْدِ عَامِينَ حَتَّى نَحِلَّ  
يُرْلِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفْزُ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الْأَمَلَ  
فَلَمَّا أذَاقَتْهُ ، إِذْ ذَاقَهَا ، هَوَى أَضْمَرْتُهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ  
تَبِينَ ، إِذْ رَامَهَا ، حُرَّةً حَصَانًا ، تَعْفُ فَلَا تُبْتَدَلُ ٤  
تَلِينُ لِأَنْبِلِ عُشَاقِهَا ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهَلُ  
فَأَغْضَى حَيَاءً .. ، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِطًا ، قَدْ عَجَلَ  
فَاهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفِّهِ ، وَهُوَ الرَّفِيقُ الْعَمِلُ ٧  
تَحَيْرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤِبٍ ، رَأَاهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتِظِلُّ ٨  
أَعَدَّ لَهَا وَتَرَا كَالشُّعَاعِ حُرًّا .. ، عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ فُتِلُ ٩  
فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ حَنِينَ الْمَشُوقِ الْمُضِلُّ ١٠

(١) كَفَّلَهَا : جعلها تكفُّله وتضمُّه إليها كالأم . الصغير من بنى أمها : هو أخوها السهم ، فإنهما من شجرة واحدة ، القوس والسهم أخوان .

(٤) أُنْبِضَ القوس : جذب وترَّها ثم أرسله ، فيسمع له صوت كالبيكاء .

(٥) أُرْنَتْ : صاحت صياح النائحة الحزينة .

(٦) يُفَجِّعُهَا : ينزل بها الفجيجة بعد الفجيجة .

(٧) أَعْرَضَ الظُّبِيُّ : أمكن الرامي من عُرْضِهِ ، أى جانبه .

(٨) قَفَّاه : تبعه وجاء بعده . اضمحلُّ : سقط وانتشمع .

- ١ فَكَفَّلَهَا مِنْ بَنِي أُمِّهَا صَغِيرًا ، تَرَدَّى بِرِيشِ كَمَلٍ  
 لَهُ صَلْعَةٌ كَبْصِيصِ اللَّهَيْبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلُ  
 فَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَا رَحْمَةً ، وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ .. لَوْ عَقَلُ !  
 ٤ فَجَنَّ جُنُونُ الْمُحِبِّ الْعَيُورِ .. ، فَأَبْضَ عَنْهَا أَبِي بَطْلُ !  
 ٥ أَرَنْتِ تُبْكِي أَخَاهَا الصَّغِيرَ : وَيَحَى !! أَخِي !! وَيَلَهُ !! أَيْنَ ضَلُّ  
 ٦ فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا : أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا .. وَاتَّكَلُ !  
 ٧ فَأَعْرَضَ ظَنِّي فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا .. ، وَنَادَتْهُ : هَا ! قَدْ قُتِلَ  
 ٨ وَقَفَّاهُ ظَنِّي فَصَاحَتْ بِهِ .. ، فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ .. ، فَأَضْمَحَلَّ

فَأَبَا .. يُسَائِلُهَا : هَلْ رَضِيَتْ بِتُكْلِ الْأَحِبَّةِ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

(١) تُبَادِلُ : تَبَدَّلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا شَاءَ وَيَبْدُلُهَا ، ( بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ) .

(٧) تَنَاسَمَ : تَهْدَى إِلَيْهِ نَسِيمَهَا . وَالشَّدَا : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ .

١ فَبَاتَا بَلِيلَةَ مَعْشُوقَةٍ تُبَادِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلَ

كَانَ عَلَيْهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ  
خَوَازِنُ عَطَارِ يَمَانٍ كَوَانِزُ

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صَيِنَتْ وَأَشْعِرَتْ  
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

يُعَازِلُهَا ، وَهِيَ مُصْفَرَّةٌ ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلَ  
٧ تَنَاسِمُهُ عِطْرُهَا ، وَالشَّدَا شَدَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الْأَجَلِ



(٢) سَاهَرَهَا : بات معها سَاهِرًا . يَزِدْهِهِ : يستخف لُبُّهُ . وَالْعُرْفُ : الرَّائِحَةُ  
الطَّيْبَةُ يُعْرَفُ بِهَا صَاحِبُهَا .

(٤) الْعَيْبَةُ : وعاء من أَدَمِ ( جِلْد ) تحفظ فيه الثياب . الْحَمَلُ : هُدْبُ  
الْقَطِيفَةِ وَزَيْبُرُهَا . ( أَى : ما يعلو القטיפفة من الهُدب الناعم ) .

(٦) قَرَّيرٌ : قد أخذته قَرَّةُ البَرْدِ ، وهو أشدُّه . وَالسَّمَلُ : الثوب الحَلَقُ الدريس  
البالى .

تَوَارَثْنَهُ الْغَيْدُ يَكْنِزُهُ لِزَيْتَتِهِنَّ ، خَفِيَ الْمَحَلُّ  
 ٢ فَسَاهَرَهَا ، يَزِدْهِهِ الْجَمَالَ وَيُسْكِرُهُ الْعَرْفُ ، حَتَّى ذَهَلَ  
 فَنَادَتْهُ ، وَيْحَكَ ! أَهْلَكْتَنِي ! أَغْنَيْتَنِي .. هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلَ  
 ٤ فَطَارَ إِلَى عَيْبَةٍ ضُمَّنْتَ حَرِيرًا مُوشِي نَفْيَ الْحَمَلِ  
 كَسَاهَا حَفِيٌّ بِهَا عَاشِقٌ ! إِذَا أَفْرَطَ الْحُبُّ يَوْمًا قَتَلَ  
 ٦ فَالْبَسَهَا الدَّفَّاءَ ضِنًّا بِهَا .. وَبَاتَ قَرِيرًا .. عَلَيْهِ سَمَلٌ !!

فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَانْبَرَى  
 لَهَا يَبِيعُ يُعْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِرُ

فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا  
تُبَاعُ بِمَا يَبِيعُ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ

فَقَالَ : إِزَارٌ شَرَعِيٌّ ، وَأَرْبَعٌ  
مِنَ السِّيَرَاءِ ، أَوْ أَوْاقٍ نَوَاجِزُ

ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا  
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِرُ

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،  
عَلَى ذَلِكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

(١) تَمِيلُ : أَخَذَ فِيهِ الشَّرَابُ وَالسُّكَّرُ .

(٤) أَمْنَةٌ : أَمَانٌ مِنَ الْخَوْفِ . غَوَاشِي الْوَجَلِ : مَا يَغْشَاهُ مِنَ الْخَوَافِ .

(٥) الْوَهَادُ : الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ . النَّجَادُ : الْأَرْضُ الْمَرْتَفِعَةُ . الْقُلُلُ ( جَمْعُ قَلَّةٍ ) :

وَهُوَ رَأْسُ الْجَبَلِ .

(٦) الصُّلُّ : حِيَّةٌ تَقْتُلُ إِذَا نَهَشَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ، لَا تَنْفَعُ فِيهَا الرِّقِيَّةُ .

(٧) الْبَائِدَاتُ الْأُولُ : عَادٌ وَتَمُودٌ ( وَهْمٌ عَرَبٌ ) وَطَسَمٌ وَجَدِيدِسٌ وَجُرْهُمٌ ،

وَمَا بَادَ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَّةُ .

- ١ تَمَتَّعَ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلَاتِهَا نَاعِمًا قَدْ ثَمِلَ  
 يَرَاهَا ، عَلَى بُؤْسِهِ ، جَنَّةً تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا ، فَاسْتَطَّلَ  
 ثُصَابِحُهُ فِي هَجِيرِ الْقِفَارِ ، وَفِي ظِلِّ اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلَ  
 ٤ فَيَحْرُسُهَا وَهُوَ فِي أَمْنَةٍ ، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الْوَجَلِ  
 ٥ يَجُوبُ الْوَهَادَ ، وَيَعْلُو النَّجَادَ ، وَيَأْوِي الْكُهُوفَ ، وَيَرْقَى الْقُلُلَ  
 ٦ وَيُقْضِي إِلَى مُسْتَقَرِّ الْحُتُوفِ : فِي دَارِ نِمْرٍ ، وَذَيْبٍ ، وَصَلِّ  
 ٧ مَنَارِلَ عَادٍ ، وَأَشْقَى ثَمُودَ ، وَحَمِيرَ ، وَالْبَائِدَاتِ الْأُولَ  
 مَجَاهِلَ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ أُنَيْسٍ ، وَلَا رَسْمَ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَّلَ  
 يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ ، وَمَجْدُ الْقَدِيمِ ، وَكَيْفَ أَنْتَقَلَ !  
 وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الْأَوْلُونَ رَحِيقَ الْحَيَاةِ وَحَمْرَ الْأَمَلِ !

(٣) الدُّمْدَمَةُ : صوت مزعج يُرْجَفُ على الناس وَيُطَبَّقُ .

(٤) سَاعٌ يَقْرُ : بينا هو يسعى هنا وهناك ، إذ ثبت مكانه . سَاقٍ : هو ساق  
الخمير . أَفْلٌ : غاب وهوى .

(٧) الصَّدِيقُ ، وَالخِجْلُ : يقال للمذكر والمؤنث جميعًا . وَالخِلَالَةُ : الصداقة  
التي تتخلل النفوس .

وَأَيْنَ الْأَخْلَاءِ كَانُوا بِهَا يَجْرُونَ ذَيْلَ الْهَوَى وَالْعَزْلُ !

وَمَلِكُ تَعَالَى ، وَطَاغِ عَتَا ، وَحُرُّ أَبِي ، وَحَرِيصُ عَقْلُ !

٣ فَدَمَدَمَ بَيْنَهُمْ صَارِخٌ : بَقَاءٌ قَلِيلٌ !! وَدُنْيَا دُونَ !!

٤ فَعَرَشُ يَخْرُ ، وَسَاعَ يَقْرُ ، وَسَاقِ يَمِيلُ .. وَنَجْمُ أَفْلُ !!

زَهْدَتْ إِلَيْكَ ! وَفَارَقْتُهُمْ : أَخْلَاءَ عَهْدِ الصَّبَا وَالْجَدَلِ

فَنِعْمَ الصَّدِيقُ ! وَنِعْمَ الْخَلِيلُ ! وَنِعْمَ الْأَنْبَسُ .. وَنِعْمَ الْبَدَلُ !!

٧ صَدِيقٌ صَدَّقْتَهَا حُرَّةٌ ، وَخَلٌّ خَلَّاتَهَا لَا تُعْمَلُ

وَعَابَا مَعَا عَنْ عُيُونِ الْخُطُوبِ ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَدَلُ

وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ الْعَاشِقِينَ ، تُضِيءُ الدُّجَى لِذَيْبِ الْمَلَلِ

(١) تَسْتَهْلُ : ترقع الصوت إهلاً بالحج ، وتلبيةً لله سبحانه .

(٢) أذَانٌ من الله : هو ما أمر الله به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :  
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) . الْمَهْلُ : الاستنظار والتؤدة .

(٥) ظِمَاءُ الْقَطَا : القَطَا الوارد الماء . وَالْقَطَا : طائر كالحمام ( أصغر منه ) يقيم  
في الفياق ، يطير طيرًا سريعًا في طلب الماء ، وينى أفحوصًا في الأرض ، ويبيض فيه  
بَيْضَتَيْنِ مُرْقَطَتَيْنِ . مُحْتَقِلٌ : فيه محافل الناس ومجامعهم .

(٨) جافلة : مذعورة تكاد ترتد من الفزع . جذوة النار : الجمرة الملتببة .  
الْمَقْلُ ( جمع مُقْلَةٍ ) : وهي العين سوادها وبياضها .  
(٩) الكاسر : من جوارح الطير الذي ضمَّ جناحين وانقصَّ . تقاذف : هوى  
على عجل . شَعَفَاتُ الْجَبَلِ : رؤوسه وقممه .



- ١ وَطَالَ الزَّمَانُ ، فَحَنَّتْ بِهِ إِلَى الْحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهْلُ
- ٢ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ ! كَيْفَ الْقَرَارُ ! وَأَيْنَ الْفِرَارُ ؟ وَكَيْفَ الْمَهْلُ ؟
- تُرَدِّدُهُ الْبَيْدُ بَيْنَ الْفِجَاجِ ، وَفَوْقَ الْجِبَالِ ، وَعِنْدَ السُّبُلِ
- أَصَاخَ لَهُ ، وَأَصَاخَتْ لَهُ ، وَلَبَّتُهُ فَاْمْتَلَتْ ، وَامْتَلَتْ
- ٥ وَطَارًا مَعًا كَطَمَاءِ الْقَطَا ، إِلَى مَوْرِدِ زَاخِرٍ مُحْتَفِلٍ
- فَوَافِي الْمَوَاسِمِ ، فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ : مَنْ أَرَى ؟ .. أَيْنَ ضَلُّ ؟
- أَسْرٌ إِلَيْهَا : أَوْلَاكَ الْحَجِيجُ !! فَلَبَّى لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ
- ٨ وَنَادَتْهُ جَافِلَةٌ : مَا تَرَى ! أَجْدُوَةَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلَّ ؟
- ٩ فَمَا كَادَ .. حَتَّى رَأَى كَاسِرًا تَقَادَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الْجَبَلِ

(١) تُوُجُّ : تلهب ، ويسمع لتلُّهبا صوتٌ ، وهو أجيح النار . وتكفُّ : تمنعه  
وتحجزه .

(٤) المختبِل : المخادع الذى يطلب غفلة الصيد .

(٧) تنكَّب القوسَ : وضعها على منكبيه .

(٨) المُنَاد : المعرَّج . اعتمل : جاهد فى عملها .

(٩) ماكرة : كلمة مكر .

- ١ يُدَانِي الْخَطَا ، وَهُوَ نَارٌ تُؤْجُ ، وَيُيْدِي أَنَاةً تَكْفُ الْعَجَلُ  
 وَمَدَّ يَدَا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلُ  
 وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ ، تُخَالُ صَلِيلَ سَيُوفٍ تُسَلُّ  
 ٤ فَلَمَّا أَهْلٌ وَالْقَى السَّلَامَ ، وَأَفْتَرَ عَنْ بَسْمَةِ الْمُحْتَبِلِ  
 وَقَالَ : أَذْنَتْ ؟ ! وَيُمْنِي يَدِيهِ تَمَسُّ أَنَامِلَهَا مَا سَأَلَ  
 رَأَى بَائِسًا مَا لَهُ حُرْمَةٌ تَكْفُ أَذَى عَنْهُ .. ، بُؤْسٌ وَذُلُّ  
 ٧ وَقَالَ : فَدَيْتِكَ ! مَاذَا حَمَلْتِ ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتِ يَاذَا الرَّجُلُ ؟ !  
 ٨ وَأَفْدَى الَّذِي قَدْ بَرَى عُوْدَهَا ، وَقَوْمٌ مُنَادَاهَا ، وَأَعْتَمَلُ !!  
 ٩ فَهَزَّتْهُ مَآكِرَةٌ ، لَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُ بِهَا السَّمْعُ ، حَتَّى غَفَلَ

(١) المِحَال : الكيد والمكر الشديد الخفى . ذَلِيق اللسان : فصيح اللسان

طَلِيقُهُ .

(٢) رَاَزَ الشَّيْءَ : وضعه في كفه ليعرف ثقله وامتنحنه . وَمَعَاظِفِ القوس :

مقدار انعطافها إذا حنَّها وشدَّ وترها .

(٣) الهَيْبَلُ : تُكَلُّ الولد .

(٤) خَالَسَهَا : نظر إليها خلسة . حَفَّضَتِ : سَكَتَ . القَوَارِبُ : أعلى الموج .

الجَأَشُ : رُوَاع القلب إذا اضطرب عند الفَرْع . الوَهْلُ : الفرع الملحق بالجنون .

(٩) رام الشَّيْءَ يرومه : طلبه وأرادَه . التلاد : المال الموروث الذي ولد عندك .

الجلل : الجليل العظيم القدر .

- ١ فَاسْلَمَهَا لِشَدِيدِ الْمِحَالِ ، ذَلِيقِ اللُّسَانِ ، خَفِيِّ الْحِجْلِ
- ٢ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْهِ ، وَرَازَ مَعَاطِفَهَا وَالثَّقَلَ
- ٣ دَعَتْ : يَا خَلِيلِي ! مَاذَا فَعَلْتَ ؟! أَسْلَمْتَنِي ؟! لِسِوَاكَ الْهَيْلُ !!
- ٤ فَخَالَسَهَا نَظْرَةً خَفَضَتْ عَوَارِبَ جَاشٍ غَلَا بِالْوَهْلِ

- وَقَالَ : لَكَ الْخَيْرُ ! فَدَدَيْتَنِي بِنَفْسِكَ !!

- بَارِي قِسِيٌّ !

- أَجَلٌ !!

- فَبِعْنِي إِذَنْ !!

- هِيَ أَعْلَى عَلَيَّ ، إِذَا رُمْتَهَا ، مِنْ تِلَادٍ جَلَلٍ !

(٣) تشتريها : تبيعها .

(٦) البخلُ ( بفتحتين ) : هو البخلُ .

(٨) باسمها : نَظَر إليها نظرة سَحَرٍ مُبْتَسِمٍ .

(١٠) دهاك : أصابك بداهية . العَجَلُ : الجنون .

١ - فَقَالَ : نَعَمْ ! لَكَ عِنْدِي الرُّضَى ، وَفَوْقَ الرُّضَى !

- [ وَيَلَهُ مِنْ مُضِلِّ ! ]

٣ - فَهَلْ تَشْتَرِيهَا ؟ ...

- نَعَمْ أَشْتَرِي !

- لَكَ الْوَيْلُ مِثْلَكَ يَوْمًا بَخْلُ !

٦ - فَدَيْتُكَ !! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ ! .. مَا بِي فَقْرٌ وَلَا بِي بَخْلُ !

فَنَادَتْهُ ، وَيَحَكَ ! هَذَا الْحَبِيثُ ! خُذْنِي إِلَيْكَ ، وَدَعْ مَا بَدَلُ

٨ فَبَاسَمَهَا نَظْرَةً .. ، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةً سُخْرٍ مُطْلُ :

- بَكِّمَ تَشْتَرِيهَا ؟ ...

١٠ - فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ ! حَذَارِ ! دَهَاكَ الْحَبْلُ !!

(١) نَضَحْتُ : فَضَّضْتُ مَكْرَهَا كَالعَرَقِ . دَعَّ عَنْكَ : احذِر . تُقْتَفَلُ : تُؤَخَذُ  
من غَفْلَتِكَ .

(٢) الشَّرْعِيُّ : ثِيَابٌ جَيَادٌ سَابِغَةٌ . وَالسِّيَرَاءُ : بُرْدٌ فِيهِ سَيُورٌ يَخَالِطُهَا الحَرِيرُ .

(٣) التُّجَارُ ( جمع تاجر ) .

(٤) جَلَاهَا : صَفَلَهَا . الهِرْقَلِيُّ : الرُّومِيُّ ، نَسَبَةٌ إِلَى هِرْقَلِ المَلِكِ .

(٦) خَالٍ : مَكَانٌ تُصْنَعُ فِيهِ البُرُودُ الجَيِّدَةُ .

(٨) الغَدِيرُ : مَكَانٌ يَغَادِرُ السَّيْلُ فِيهِ بَعْضُ المَاءِ . وَالرَّوْشَلُ : المَاءُ يَتَحَلَّبُ مِنْ  
جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، لَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ .



١ لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرَهَا عَلَيَّ ، فَدَعَّ عَنْكَ ! لَا تُعْتَمَلْ

٢ - فَقَالَ : إِزَارٌ مِنَ الشَّرْعِيِّ ، وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيرَاءِ الْحُلِّ

٣ بُرُودٌ تَضِيءُ بِهِنَّ التَّجَارُ إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكَ أَجَلٌ

٤ وَمِنْ أَرْضٍ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلَاهَا الْهَرَقِيُّ ، مِثْلَ الشُّعْلِ

ثَمَانٍ ! تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى ! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ ، نِعْمَ الْبَدَلُ !

٦ وَبُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ خَالٍ ، أَشْفُ وَأَنْعَمُ مِنْ حَدِّ عَذْرَاءٍ .. ، بَلْ

إِذَا بَسِطَاتِ حَتَّ شَمْسِ النَّهَارِ ، فَالْشَّمْسُ تَحْتَهُمَا .. ، لَيْسَ ظِلٌّ

٨ وَتَسْعُونَ مِثْلَ عُيُونِ الْجَرَادِ .. ، بَرَّاقَةٌ كَعَدِيرِ الْوَشَلِ

كَمِرَّةٍ حَسَنَاءَ مَفْتُونَةٍ ، كَرَأْسِ سِنَانِ حَدِيثِ صِقْلِ

(١) الأديم : الجلد المدبوغ اللين . الخُصَل ( جمع مُحصَلَة ) : وهي لفيفة من الشعر المجتمع .

(٣) غمغمَةٌ : الكلام الذى لا يتبينه السامع . والنَغْيَةُ : كلمة ذات نغمة .  
والزَّرَى : العائب المظهر للاحتقار .

(٤) الإِسَارُ : الأسر . والسُوَام : المساومة فى البيع . والشَّرَاك ( جمع شرك ) :  
وهو حباله الصائد يرتبك فيها الصيد . آحْتِيل : وقع فى حباله الصائد .

١ أَجَلٌ .. !! وَأَدِيمٌ كَمِثْلِ الْحَرِيرِ ، يُطَوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ الْخُصَلِ

٢ وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الرَّحَامِ ، وَأُذُنٌ تَمِيلُ ، وَرَأْسٌ يُطَلُّ  
٣ وَعَمَمَةٌ ، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ ، وَنَفِيَةٌ زَارٍ ، وَآبٍ سَأَلِ

٤ وَعَاشِقَةٌ فِي إِسَارِ السُّوَامِ !! وَعَاشِقُهَا فِي الشَّرَاكِ آخْتَبِلُ  
تُنَادِيهِ مَلْهُوفَةٌ تَسْتَعِيثُ ، ضَائِعَةٌ الصَّوْتِ .. ، عَنْهَا شُغْلُ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا ،  
أَيَاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أُمَّ يُجَاوِزُ  
فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ  
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ

- (٢) السُّورَةُ : المنزلةُ الرفيعةُ المشرقةُ الظاهرةُ . حَلَجَاتُ الجبلِ : ما يتجاذب المخبول من الاضطراب ، فتتفكك أوصاله ، ويتأيل يمناً ويسرة .
- (٣) الْفَلَاتُ ( جمع قَلْبٍ ، بسكون اللام ) : نُقْرَةٌ في الجبل يقطر فيها ماءٌ واشلٌ من سقف أو كهف ، وهو أصفى ماء . والبرنين : أوّل الأنف تحت مجتمع الحاجبين ، حيث يكون الشَّمَم ، وهو دليل على كرم الأصل .
- (٤) الزاكي : النبات في نعمةٍ وخصبٍ وكرم . نمأه : جعله نامياً ممبئاً ناعماً .  
والسرأءُ : المروعة والسخاء والشرف .

- (٧) كَادَهُ بعقله : آحتال عليه وغلب عقله . المَجْلُ : الشديدُ المكر والدهاء .
- (٨) وَئِيكَ : مثل ، ويليك ، تعجب وتهديد . السَّفَاهُ : السفه والطيش .  
الحَدِيدُ : الصديق المصاحب . والجُلُّ : الصديق المتداخل المودة .

- ١ [ أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ! .. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلُ !؟ ]
- ٢ أَجَنٌّ؟ نَعَمْ... لَا! .. أَرَى سُورَةَ مِنَ الْعَقْلِ، لَا خَلَجَاتِ الْخَبْلِ !
- ٣ وَعَيْنِي صَفَاءٌ كَمَا الْقَلَاتِ ، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمَا وَعَتَدَلْ
- ٤ وَجَبَهَةَ زَاكِ ، نَمَاهُ النَّعِيمُ فِي سُودِدٍ وَسَرَاءِ نَبْلِ
- ٥ أُعْطِيَ بِهَا الْمَالَ؟ هَذَا الْخَبَالُ ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا؟ تُكْبَلُ !!
- ٦ وَيَارَبِّ ! يَارَبِّ ! مَاذَا أَقُولُ؟ .. أَقُولُ نَعَمْ ! . لَا ! فَهَذَا خَطْلٌ
- ٧ أَيْعُ !! وَكَيْفَ ! .. لَقَدْ كَادَنِي بَعْقَلِي هَذَا الْخَبِيثُ الْمَجْلُ
- ٨ أَفَارِقُهَا ! وَيْلَكَ !! هَذَا السَّفَاهُ ! قَوْسِي ! كَلَّا ! حَدِينِي وَخَبْلُ !!
- أَجَلُّ !! بَلْ هُوَ الْبُؤْسُ بَادٍ عَلَيَّ ! فَاغْرَاهُ بِي ! وَيْحَهُ ! مَا أَضَلُّ !!
- يُسَاوِمُنِي الْمَالَ عَنْهَا؟ نَعَمْ ! .. إِذَا لَيْسَ الْبُؤْسُ حُرًّا أَذَلُّ

(٣) النُكْر : الدهاءُ المنكر الخبيث . آهْتَبَلُ الْفُرْصَةَ : اغتتمها وَأَفْتَرَصَهَا على

غفلة .

(٥) السَّفَلُ ( جمع سِفْلَة ) : وهم أراذل الناس وسفّاطهم .

(٨) حَبَاه : أعطاه فأكرمه . فاطر النَّيِّرَات : المبتدئ خلق الكواكب المنيرة .

وباري النّبات : خالقه .

(١٠) الهُون : الهوان والخِزْي . والقَلَّ : القلة والنقص .

- إِذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيهِ الْعُيُونُ ، وَإِنْ قَالَ رُدُّ كَأَنَّ لَمْ يَقُلْ  
 نَعَمْ ! إِنَّهُ الْبُؤْسُ !! أَيْنَ الْمَفْرُ مِنْ بَشَرٍ كَذْنَابِ الْجَبَلِ !؟  
 ٣ ثَعَالِبُ تُكْرُ تُجِيدُ النَّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلُ  
 كِلَابٌ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبْصَبُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَدَلُ  
 ٥ فَوَيْحِي مِنَ الْبُؤْسِ ! .. وَيْلٌ لَهُمْ !! .. أَرَى الْمَالَ تُبْلَا يُعَلِّي السَّفَلَ  
 فَخُذْ مَا أُتَيْتَ بِهِ .. !! إِنَّهُ مَلِيكَ يُخَافُ ، وَرَبُّ يُجَلُّ  
 وَسُبْحَانَ رَبِّي ! يَدِي ! مَا يَدِي ! بَرَيْتُ الْقِسِيَّ بِهَا لَمْ أُمَّلْ !  
 ٨ حَبَانِي بِهَا فَاطِرُ النَّيِّرَاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ !  
 وَأُودِعَهَا سِرِّهَا عَالِمٌ خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ !  
 ١٠ وَفِي الْمَالِ عَوْنٌ عَلَى مِثْلِهَا ! وَفِي الْبُؤْسِ هُونٌ ، وَذُلٌّ ، وَقُلٌّ ! ]

- (٢) أَجَشُّ : فيه جُشَّةٌ ، أى غلظ وبحة . صَلَّى الصوت : إذا خالطته حِدَّةٌ كأنها صوت حديد على الصفا .
- (٣) أَتْحَبِلُ : أخذه الحَبَلُ ، كالجنون المضطرب .
- (٤) أَشْفَى : أشرف . يَسْتَقِيلُ : ينهض .

- (٦) وَغَوْعَةٌ : صوت مختلط كَوَغَوْعَةِ الكلاب . وَالزَّجَلُ : الجلبة كأصوات اللاعبين .
- (٧) يُوْجُّ : يُصَوِّتُ بكلام مرتفع سريع . وَيَعْجُ : يصيح صياحًا عاليًا كاهدير . وَيَخُورُ : يصيح بصوت غليظ كخُورِ الثَّور . وَصَهَلٌ : أخرج صوتًا مبحوحًا كصهيل الخيل .

(١٠) الْحَشْرَجَةُ : عَرَّعَةُ المَيْتِ ، وَتَرَدَّدُ نَفْسِهِ .



- ١ تَنَادَوْا بِهِ : أَنْتَ !؟ مَاذَا اذْهَكَ !؟ مَالِكَ يَا شَيْخُ !؟ قُلْ يَا رَجُلُ !
- ٢ وَأَتِ يَصِيحُ ، وَكَفَّ تُشِيرُ ، وَصَوْتُ أَجَشُّ ، وَصَوْتُ يَصِلُ !
- ٣ وَطَنْتُ مَسَامِعُهُ طَنَّةً .. ، وَزَاعَتِ نَوَاطِرُهُ وَأَخْتَبِلُ
- ٤ وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ الْمَرِيضِ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ مَا يَسْتَقِيلُ ..
- ٥ تَنَادِيهِ : وَيَحَكَ ! وَيَجِي !! هَلَكْتُ !! أَتَوَكَّ بِقَاصِمَةٍ ! وَأَتَكَلُّ !
- ٦ تَلَفَّتْ يُصْغِي .. ، وَمِثْلُ اللَّهْيَبِ ضَوْضَاءٌ وَعَوَعَةٍ فِي رَجَلِ
- ٧ فَهَذَا يُؤُجُّ .. ، وَهَذَا يَعِجُّ .. ، وَهَذَا يَحُورُ .. ، وَهَذَا صَهْلُ !
- وَدَانِ يُسِرُّ .. ، وَدَاعِ يَحُثُّ .. ، وَكَفَّ تُرْبِتُ : بَعِ يَا رَجُلُ !
- لَقَدْ بَاعَ ! بَعِ ! بَاعَ ! أَلَا لَمْ يَبِعْ ! غَنَى الْمَالِ ! وَيَحَكَ ! بَعِ يَا رَجُلُ !
- ١٠ [ وَحَشْرَجَةَ الْمَوْتِ : حُذْنِي ... إِلَيْكَ !!



- لَبَّيْكَ !! لَبَّيْكَ ! ]

بِعْ يَا رَجُلُ !!

[ أَغْنِنِي ! . أَجَلُ ! ]

بَاعَ ! ماذا ؟ أَبَاعَ ؟ نَعَمْ بَاعَ !! قَدْ بَاعَ ! حَقًّا فَعَلُ ؟ !

[ أَغْنِنِي ! أَغْنِنِي ! نَعَمْ ! ]

قَدْ رَبِحْتَ !! .. بُورِكَ مَالِكَ !

أَيْنَ الرَّجُلُ ؟ !

مَضَى ! ... أَيْنَ ! .. لا ، لَسْتُ أُدْرِي ! .. مَتَى ؟

لَقَدْ بَعْتَ ؟ ! ... كَلًّا وَكَلًّا ... أَجَلُ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَعْتَ !

كَلًّا ! كَذَبْتَ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَاعَ !

- وَيْحِي ! أَجَلُ !

(٦) العَمِيمُ : الماء الحارُّ . نَسْتَهْلُ : نَنْصَبُ .

(٧) لَاعَجَ : مُحْرِقٌ . الخَبِيلُ : اضْطِرَابُ الجنونِ .

(٨) غَامَتْ : أَصَابَهُمَا غَيْمٌ كالسحابِ . وَيَهْطَلُ : يَسِيلُ متتابعًا .

(٩) هَيْضَ : انكسر وَتَدَلَّى . وَأَعْتَقِلَ : حُيسَ وَمُنِعَ الكلامِ .

لَقَدْ بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. جُزَيْشُم بِخَيْرِ جَزَاءٍ ، أَجَلٌ !! ..  
 أَجَلٌ .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا !! أَجَلٌ بَعْتُهَا !! لا . أَجَلٌ لا . أَجَلٌ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عِبْرَةً ،  
 وَفِي الصَّدْرِ حَزَارٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ

[ أَجَلٌ .. لا .. أَجَلٌ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. أَجَلٌ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. لا .. أَجَلٌ ]  
 ٦ وَفَاضَتْ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الْحَمِيمِ ، لَذَاعَةٌ ، نَارُهَا تَسْتَهْلُ  
 ٧ بُكَاءً مِنَ الْجَمْرِ جَمْرِ الْقُلُوبِ ، أُرْسَلَهَا لَأَعِجَ مِنْ حَبْلِ  
 ٨ وَعَامَتْ بِعَيْنَيْهِ ، وَأَسْتَنْزَفَتْ دَمَ الْقَلْبِ يَهْطُلُ فِيمَا هَطَلُ  
 ٩ وَحَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ ، وَهَيْضَ اللِّسَانِ لَهَا وَأَعْتَقِلُ

(٢) تخاذل : تتخاذل ، يخذل بعضها بعضاً .

(٤) السَّوَامُ : المساومة في البيع . والأرُوم : أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها . مَثَلٌ : انتصب .

(٥) صَلُودٌ : صَلْبٌ أَمْلَسٌ . عُتْلٌ : غليظ ثقيل ثابت .

(٦) الدَّيْبِيُّ : الجرادُ قبل أن يطير . تَنْزَى : تثب وتنفز . دهاه : غشيه وأصابه .  
والطُّلُ : المطر الخفيف .

(٩) كَرَّكَرَ الضاحك : ردَّد الضحك .

(١٠) السَّمْتُ : الهياة .

- وَأَغْضَى عَلَى ذِلَّةٍ مُطْرِقًا ، عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ مِثْلُ الْعَجَبِلِ  
 ٢ أَقَامَ .. ، وَمَا إِنَّ بِهِ مِنْ حَرَكَ ، تَحَاذُلُ أَعْضَاؤُهُ كَالَأَشْتَلِ  
 وَفِي أُذُنَيْهِ ضَجِيجُ الرَّحَامِ ، وَ« بَعِ بَاعَ ، بَعِ بَاعَ ، بَعِ يَا رَجُلُ ! »  
 ٤ وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السُّوَامُ بِمُهْجَتِهِ ، كَأُرُومٍ مِثْلِ  
 ٥ كَأَنَّ صَخْرَةً نَبَّتَتْ ، حَيْثُ قَامَ ، تِمْتَالُ حُزْنٍ صَلُودٍ عُتْلُ  
 ٦ وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبِيِّ عِجَالًا تَنْزَى ، دَهَا هُنَّ طَلُّ  
 فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ ! رَدَّتْ عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلَ !  
 وَمِنْ هَامِسٍ : وَيَحَهُ مَا دَهَاهُ ! وَمِنْ مُنْكَرٍ : كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلُ !  
 ٩ وَمِنْ ضَا حِكٍ كَرَكْرَتْ ضَحْكَةً لَهُ مِنْ مَزُوجٍ خَبِيثٍ هَزَلُ  
 ١٠ وَمِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آكِلًا ! تَلَبَّسَ فِي سَمْتٍ مَنْ قَدْ أَكَلَ !

(١) هَيْئَمَةٌ : الكلامُ الخَفِيُّ كاللُدُنْدَانَةِ . غَمَعَمَتْ : أختلطت ولم تتبين .

(٣) الوَعَى : الصوتُ المتداخل كأصوات النحل المجتمع . يَصِيلُ : يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عَطِشَتْ .

(٤) أَسْفَرُ : أشرق . أُنْجَابٌ : انكشف . الْمُخْبِثُ : الخاسع المتضائل .

(٥) سَبْتَةٌ : سكون وإطراق بلا حراك .

(٦) الوَقِيدُ : المريض الدَّيْفُ المُشْفِي على الهلاك .

(٩) هَامٌ مُحَلَّقَةٌ : رُؤُوسٌ مخلوقة . رُجْفٌ ( جمع راجف ) : ترتجف

وتضطرب . تَزِيغُ البَصَلُ : المتزوع بجذوره .

(١٠) أُعْرَبِيَّةٌ ( جمع عُرَاب ) . حجل : يمشى مِشْيَةً قبيحةً ، وهي مِشْيَةُ الغراب .



١. وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَّهُ كَالْمُعْزَى ، وَهَيْمَةٍ غَمَّغَمَتْ لَمْ تُقَلِّ
- وَمِنْ مُشْفِقٍ سَاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى ، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُؤَلِّ
٣. وَسَالَتْ جُمُوعُهُمْ فِي الرَّمَالِ .. ، وَمَاتَ الْوَعَى .. غَيْرَ حَسٍّ يَصِلُ
٤. وَأَسْفَرَ وَأَنْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنِ مُحَبِّتِ خَاشِعِ كَالْمُصَلِّ
٥. وَظَلَّ طَوِيلًا .. لَهُ سَبْتَةٌ ، وَإِطْرَاقَةٌ ، وَأَسَى يَنْهَمِلُ
٦. أَفَاقَ وَقِيدًا ، بَطِيءَ الْإِفَاقَةِ .. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالْمِطْلُ
- وَقَلَّبَ عَيْنَيْهِ : مَاذَا يَرَى ؟ وَأَيْنَ الرَّحَامُ ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلُ !
- رَأَى الْأَرْضَ تَمْشِي بِهِمْ كَالْحَيَالِ ، أَشْبَاحُهُمْ خُشْبٌ تَنْتَقِلُ
٩. وَهَامٌ مُحَلَّقَةٌ رُجْفٌ ، وَأُخْرَى بَدَتْ كَنْزِيْعِ الْبِصَلِّ
١٠. وَأَعْرَبَةٌ : بَعْضُهَا جَائِمٌ يُحْرِكُ رَأْسًا ، وَبَعْضٌ حَجَلٌ

(١) الحَيَازِم ( جمع حَيَزُوم ) : وهو ما اكتنف الحُلُقُوم . والقُلُلُ : الرؤوس ،  
والحِية تُفعل ذلك وهي تَشْمَسُ .

(٢) أُزْفَلَةٌ : الجماعة تأتي مسرعة . والضَّبَاعُ : من لئام الحيوان . تَحْمَعُ :  
تعرج . هَمَلٌ : مهملة ملقاة .

(٣) الضَّبَابُ تخرج من جحورها إذا دهمها السيل . مَرَقَنٌ : تخرجن مسرعات  
كالسهم من الرمية ( المرمية ) . حَفَلٌ : احتفل بموجه .

(٥) السِنَّةُ : خفة النعاس .

(٦) الأَعْطَافُ ( جمع عَطِيف ) : وهو الجانب ، من الرأس إلى الورك .

(٧) الكَبْلُ : القيد الضخم الثقيل . يَخْتَلِجُ الشيء : ينتزعه . والعَلُّ : القيد  
الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق .

(٨) الناشط : الجاذب الدلو من البئر . والرشاء : حبل الدلو الطويل .

(٩) مُلْجَلِجَةٌ : مترددة ثقيلة لا تكاد تخرج أو تدخل . هَلَلٌ : فَرَعٌ وَفَرَقٌ

وَنُكُوصٌ .

- ١ وَحَيَاتُ وَادٍ ، لِشَمْسِ الضُّحَى ثُلُوِي حَيَايِمَهَا وَالْقُلُلِ  
 ٢ وَأَرْفَلَةٌ مِنْ ضِبَاعِ الْفَلَاةِ تَحْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلٍ  
 ٣ وَهَنَا وَهَنَا ضِبَابٌ مَرَقَنَ مِنْ كُلِّ جُحْرِ لَسِيْلٍ حَفَلٍ  
 وَتَوْبٌ يَطِيرُ بِلَا لَابِسٍ ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أُنَى تَمَلٍ  
 ٥ تَمَطَّى بِهِ الْبَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ ، وَمِنْ سِنَةِ كَفْتُوْرِ الْكَسَلِ  
 ٦ وَدَبَّتْ إِلَيْهِ بَقَايَا الْحَيَاةِ ، فَرَقَعَ أُعْطَافَهُ وَأَعْتَدَلْ  
 ٧ وَظَلَّ يُتَارِعُ كَبَلُ الدُّهُولِ ، وَيَخْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلِّ  
 ٨ كَنَاشِطٍ ثَقِيْلٍ طَوِيْلِ الرِّشَاءِ مِنْ هُوَّةٍ فِي حَضِيضِ الْجَبَلِ  
 ٩ رُوَيْدًا ، رُوَيْدًا ، فَتَابَتْ لَهُ مُلْجَلَجَةٌ يَغْتَرِبُهَا هَلَلٌ  
 وَمِثْلُ الْحَمَامَةِ بَيْنَ الضُّلُوعِ قَدْ أَنْتَفَضَتْ مِنْ غَوَاشِي بَلَلٍ

(١) رَكِيْنٌ : على الأركان ثقيل .

(٢) لَأْيًا بِلَأَى : بعد مشقة وجهه وإبطاء واحتباس .

(٣) خَامِرُهُ : غشى نفسه . أْبَلُّ : برأ من مرضه وأفاق .

(٦) نَزَرَ : تتلأأ . تَأْتَكُلُ : تتوهج كالنار إذا اشتدَّ لهبها ، وأكل بعضها بعضها .

(٧) انظُر : البيت الثاني ص : ٥١ .

(٨) الغنى : ما أخذه من المال والمتاع ، فكان له غنى . انتحى : اعتزل ناحية .

- ١ يُقَلِّبُ جُنُجْمَةً ، خَالَهَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ رَكِينٍ حَبَلٌ
- ٢ فَلَايَا بِلَايٍ ، وَآبَتْ لَهُ مُبَعَثَةٌ مِنْ أَقَاصِي الْعِلَلِ
- ٣ وَنَفْسٌ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةٌ ، وَخَامَرُهُ الْبُرءُ حَتَّى أَبُلُّ
- أَحْسٌ بِكَالْجَمْرِ فِي رَاحَتَيْهِ : سَعِيرٌ تَوَقَّدَ !! مَاذَا أَحْتَمَلُ ؟
- وَيَسْتَسْطُ كَفَيْهِ : مَاذَا أَرَى ؟ جَوَابٌ حَيْثُ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ !!
- ٦ عِيُونَ تُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ ، مِنْ الْخُبَيْثِ تَزْهَرُ أَوْ تَأْكِلُ !!
- ٧ [ أَجَلٌ بَعْتُهَا ؟ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. بَقَاءٌ قَلِيلٌ ، وَدُنْيَا دُونَ ! ]
- ٨ وَالْقَى الْعَيْنَى لِلثَّرَى ! وَأَتَتْحَى ، وَنَفَضَ كَفَيْهِ : [ حَسْبِي ! أَجَلٌ ]

- (٢) العُللُ ( جمع غُلَّة ) : وهى حرارة الجزن .
- (٣) المُضْمَرَات : البعيدة التى يخفى مكانها . والفُيُوب ( جمع غَيْب ) : وهو الأرض المطمئنة ، التى يغيب فيها سالكها . والبلابلُ : قَلِقَات الهموم . والسَّجِلُ : الكتاب أو الصُّكُّ الذى يطوى .
- (٤) نوافذُ : ماضيات ، كالسهام تنفذ فى النفس . تَنْتَضِلُ : تترامى وتختصم .

(٩) تَدَجَّى : لبسه الظلام .

(١٠) الآية : العلامة العجيبة ، وهى يده . نَصَلَ : طَفَىءَ لونها وذَهَبَ .

- وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتِ الثِّيَابِ وَالْبَزَّ نَظْرَةً لَا مُحْتَفِلَ !  
 ٢ وَوَلَّى كَهْمِيَا ، ذَلِيلَ الْخُطَا ، بَعِيدَ الْأَنَاةِ ، خَفِيَ الْعُلَلِ !  
 ٣ وَأَوْغَلَ فِي مُضْمَرَاتِ الْغُيُوبِ يَطْوِي الْبَلَابِلَ طَى السَّجَلِ  
 ٤ أَرَادَ لَيْنَسَى ، وَبَيْنَ الضُّلُوعِ نَوَافِذُ مِنْ ذِكْرِ تَنْتَضِلِ  
 فَأَحَيْتُ صَبَابَتَهُ ، وَالْجِرَاحُ دِمَاءَ مُفْرَعَةٍ لَمْ تَسِلِ  
 تُرِيهِ الرُّؤْيُ وَهُوَ حَى النَّهَارِ ، وَتَسْرَى بِهِ وَهُوَ لَمْ يَنْتَقِلِ  
 يُخَالِسُ مِنْكِبَهُ نَظْرَةً ، فَتَلْفَتْهُ حَسْرَةٌ تَسْتَدِلُّ  
 وَيَسْطُ كَفِّهِ مُسْتَعْرِقًا ، فَتَحْسِبُهُ قَارِنًا قَدْ ذَهَلَ  
 ٩ يَرَى نِعْمَةً لَبَسَتْ نِقْمَةً ، وَنُورًا تَدَجَّى ، وَسِحْرًا بَطَلَ  
 ١٠ وَآيَتُهُ عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا نَصَلَ

- (١) أَسْرَارُ الكَفِّ : خطوطها التي تدلُّ على المُعَيَّب من أسرارها .
- (٢) السَّحْقُ : البالي المُنْسَجِق . تَهْتَك : تحرق وتساقط . الأديم : الجلد المدبوغ . النَّجَل : الذي فسد دِبَاغُه فتفتت وترَفَّت .
- (٣) السَّنَا : الضوء العالى .
- (٤) بَهِيمٌ : مظلم لا ضوء فيه ، ولا منفذ لبصر .
- (٥) تَلَاوُذٌ : تدور كأنها تطلب ما تلوذ به . اللغز : الطريق المتوى المشكل يضلُّ سالكُه . الداجى : الساتر ، الذى يلبسُ ما فيه ويستره . والدَّغْل : الشجر المتنف المشتبك النبات .
- (٦) أَسْوَدَةٌ ( جمع سَوَادٍ ) : وهو شخص الشيء ، لأنه يرى من بعيد أسود . حَطِيفٌ : تسرع كالشعاع الخاطف .
- (٧) هَدَلٌ : غننى غناء الحمام .
- (٨) السُّدْفُ ( جمع سُدْفَةٌ ) : ظلمةٌ مختلطة بضوء يشوبها . الضَّالُّ : السُّدْر ينبت فى السهول ، تُسَوَّى من قضبانهِ السَّهَام .



- ١ وَأَسْرَارَهَا فَضَّهَا طَائِفٌ لَهُ سَطْوَةٌ وَأَدَى حَيْثُ حَلَّ
- ٢ وَسَحَقَ غِشَاءً عَلَى أَعْظَمٍ ، تَهْتَكُ مِثْلَ الْأَدِيمِ النَّعْلُ
- ٣ وَمَسَّتْ أَنْامِلُهُ رَجْفَةً ، تَسَاقَطَ عَنْهَا سَنَاهَا وَزَلَّ
- ٤ وَأَفْضَى بِنَظَرَتِهِ نَافِذًا إِلَى غَيْبِ مَاضٍ بِهِيمِ السَّبُلِ
- ٥ تَلَاوُذُ أَشْبَاحِهِ ، كَالذَّلِيلِ ، بِلُغْزِ نَحِيلِ ، وَدَاجِي دَعَلِ
- ٦ وَأَسْوَدَةً حَاطَفَتْ فِي الظَّلَامِ هَارِبَةً مِنْ صَيْوِدِ حَتَلِ
- ٧ وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَتْ ، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيْعٍ هَدَلِ
- ٨ وَشَقَّتْ لَهُ السُّدْفَ الْغَاشِيَاتِ حَسَنَاءُ ضَالٍ عَلَيْهَا الْحُلِّ
- أَضَاءَ الظَّلَامِ لَهَا بَعْتَةٌ ، وَفَوَّضَ حَيْمَتَهُ وَارْتَحَلَ
- أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ الْعُصُورِ عِذْرَاءُ مَكْنُونَةٌ لَمْ تُنَلِّ

(١) الكلال ( جمع كِلَّة ) : وهى الستر الرقيق ، كالذى تكون فيه العروس .  
وانظر البيت الرابع ص : ٤٠ .

(٣) المستوفز : هو القاعد إذا استقلَّ على رجليه يتهياً للقيام ، ولَمَّا يَسْتَوِ قائماً  
بعدُ . تَلَطَّى : التهب كاللظى .

(٦) انظر : البيت الثالث ص : ٥١ .

١ « رَأَى غَادَةً نُشِئَتْ فِي الظُّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ » ، عَلَيهَا الْكِلَالُ  
 عُرُوسٌ تَمَائِلُ مُخْتَالَةً ، تُمِثُّ بَدَلٌ ، وَتُحْيِي بَدَلٌ  
 ٣ وَنَادَتْهُ ، فَأَرْتَدُّ مُسْتَوْفِرًا بِجُرْحٍ تَلْظِي وَلَمْ يَنْدِمِمْ :  
 أَفُقْ ! قَدْ أَفَاقَ بِهَا الْعَاشِقُونَ قَبْلَكَ ، بَعْدَ أَسَى قَدْ قَتَلَ !  
 أَفُقْ ! يَا حَلِيلِي ! أَفُقْ ! لَا تَكُنْ حَلِيفَ الْهُمُومِ ، صَرِيعَ الْعِلَلِ  
 ٦ فَهَذَا الزَّمَانُ ، وَهَدَى الْحَيَاةُ ، عَلَّمْتِنِيهَا قَدِيمًا : دَوْلُ !!  
 أَفُقْ ! لَا فَقَدْتُكَ ! مَاذَا دَهَاكَ ؟ ! تَمَتَّعْ ! تَمَتَّعْ بِهَا ! لَا تَبُلْ !  
 بِصُنْعِ يَدَيْكَ تَرَانِي لَدَيْكَ ، فِي قَدِّ أُخْتِي ! وَنِعَمَ الْبَدَلِ !

(٣) انظر : البيت الثامن ص : ٥٩ .

(٤) استهل : رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه . وانظر : البيت السابع

ص : ٥٢ .

صَدَقْتَ! صَدَقْتَ! وَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الْوَلُوعُ؟ وَأَيْنَ الْأَمَلُ؟

صَدَقْتَ صَدَقْتَ!!.. نَعَمْ فَذْ صَدَقْتُ! وَسِرُّ يَدَيْكَ كَانَ لَمْ يَزَلْ

٣ حَبَاكَ بِهِ فَاطِرُ النَّيِّرَاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ

٤ فُقْمُ ! وَأَسْتَهْلُ ، وَسَبِّحْ لَهُ ! وَلَبَّ لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ

... وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَإِلَّا تَكُنْ رَضِيَتْ فَقَدْ أَمَلْتَك ،  
وإذا أنا قد أسأتُ من حيثُ أردتُ الإحسان . ولكنك  
بعثت كوامنَ نفسي مُنذ رأيتك ، فتوسّمتُ وجهك ،  
وعرفتُ فيه شيئاً أخطأته في وجوه كثير من أهل زماننا .  
فأحبيتُ أن أعظك وأعظ نفسي بِنِعْمَةِ اللَّهِ على عباده ، إذ  
جعل بعضهم لبعض قُدُوةً وَعِبْرَةً ، وآتاهم من مكنونِ علمه  
ما لا يغفلُ عنه إلا هالكٌ ، ولا يضيّعه إلا مُسْتَهينٌ لا يبالي .  
وقد بلغنا رسول الله عن ربّه بلاغاً يضيءُ لكلِّ حيٍّ نَهَجَ  
حياته ، ويُمسِكُ عليه هدىً فطرته ، إذ قال : « إنَّ الله  
يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ » وقال : « إنَّ الله  
كَتَبَ الإِحْسَانَ على كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ،

وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلِيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ،  
 وَلِيُرِيحَ ذَبِيحَتَهُ . فَأَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ فِي  
 إِتْقَانِ مَا نَصْنَعُ ، وَإِحْسَانِ مَا نَعْمَلُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى  
 الرَّشْدِ ، وَالْإِتْقَانَ فِي الْعَمَلِ ، وَالْإِحْسَانَ فِيْمَا نَأْتِي وَمَا نَذَرُ .  
 وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ .  
 وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا صَالِحًا ،  
 وَسَدَادًا فِي الْخَيْرِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

من أخيك

القاهرة : ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

أبو  
 محمود محمد شاکر

١٥ يناير سنة ١٩٥٢ م

... تلك هي قصيدة الشماخ ، بل تلك هي لؤلؤة  
من لآلئ الشعر العربي القديم ، تتعاقب عليها العصور  
والحقب ، وهي حيث هي جدّة ولألاء .

استوحى الشماخ في هذه القصيدة عاطفته ، فوصف قوسًا  
صنعها قوَّاس ثم باعها ، فترقرقت تلك العاطفة بجداول  
الحب والحنان ، وترنمت بأصوات الزهو والاعتزاز ،  
واضطرمت بمارج اللوعة والأسى ، في وصفٍ ساحر بارع ،  
شَمَخَ به الشماخ على عظماء الشعر ممن استلهموا الهياكل  
والجبال المقدسة .

وتذكّرنا قوَّسُ الشماخ بُتْرُس أوميروس الذي صنعه



سادنُ النار المؤلّه للبطل أحييل ، وجعله أسطرلاباً للأفلاك  
وأجرام السماء ، ومحوراً للأرض وما تحويه من خلائق  
وكائنات . وفي كلا الوصفين من روائع الخيال ورقائق الفن ،  
ما لا يسلس زمامه إلا للنفس المحلقة والبيان المنح . وم  
لقصيدة الشماخ في تراثنا الجليل من أشباه ونظائر ،  
لو نُزعت الغلالات عنها وجُليّت للناس ، لتكوننَّ الشاهد  
العدل على العبقرية العربية .

وليست الجوانب الفنية في قصيدة الشماخ ،  
ولا العواطف النبيلة فيها ، ولا الصلات الروحية بين الفن  
وصاحبه ، ليس كل هذا هو الذى حدانا على كتابة هذه  
الكلمة ، بل دفعنا إليها اغتباطنا بأن نجد الفن مجازاً يصل

بين الأرواح المجندة ، وموضوعاً تجرى عليه رسائل الإخوان ،  
فترقى على سبحات الفن إلى سموات الفكر وفراديس الأدب  
الخالد .

التقى صديقنا ، رفيق الصبا وخِذَن الشباب ،  
الأستاذ محمود محمد شاكر ، بصاحب دار المعارف  
شفيق متری ، ولم يكونا قد التقيا من قبل ، وتطرق الحديث  
بينهما إلى الكلام على العمل وتجويده ، والفن وسحر  
أواخيه ، فإذا بالرجلين روحان مؤتلفان متعارفان ، يقدر كل  
صاحبه ، ويكبر فيه الهمة الوثابة والهيام بالمثال الأعلى .

وشاء صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أن يخلد ذلك

اللقاء برسالة يعبر فيها عن نظرتة إلى الإنسان وإلى الفن ،  
فكانت قصيدة الشماخ هي المنفذ الذي نفذ منه إلى تصوير  
أعماق النفوس ، وإبراز المعاني التي مسّها الشماخ مسّاً  
رفيقاً ، فانقلبت صوراً حية ناطقة ، وأبانت عن مرامي  
الشعر وأهدافه ، وتألّفت منهما ملحمة شعرية فريدة في  
بايها ، تحتل مكانها من الشعر الإنساني الخالد .

عادل الفضبان

( مجلة الكتاب )

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ

أول فبراير سنة ١٩٥٢ م

الناشر  
دارالمدني بجدة  
ت ٦٧١٣٤٢٤ ص ب ١٨٤٨٥

المؤسسة السعودية بجمهورية  
٦٨ شارع الفياسية - القاهرة، ت: ٨٥٧٨٨١

مطبعة المدني